الفصل التاسع والخمسون بعد المئة

أصحاب المعلقات

أصحاب السبع الطوال ، هم : امرؤ القيس ، وطرفة بن العبد ، وزهير بن أبي سلمى ، ولبيد بن ربيعة ، وعمرو بن كلثوم ، وعنترة بن شداد ، والحارث ابن حلزة اليشكري . وهم الذين اختار (حماد) الراوية قصائدهم ، فألف منها اختياراته . وقد رتبتهم حسب الترتيب المألوف الذي يرد في دواوين المعلقات ، وإن كان هذا الترتيب يتعارض مع الترتيب الزمني . فلبيد مثلاً كان من الواجب علينا تأخيره ، بجعله آخر الشعراء المذكورين ، لأنه أدرك الاسلام ، فهو من المخضرمين ، وبعض منهم كان من اللازم تقديمه ، ليأخذ مكانه المناسب له من الناحية الزمنية ، بجعله في موضع من يؤخر لتأخره في الزمان .

وسأضيف على ما ذكرت الأعشى والنابغة وعبيد بن الأبرص ، مجاراة لمن زاد على ذلك العدد شاعراً أو شاعرين أو ثلاثة ، أو طرح منه شاعرين ، ووضع في محلها شاعرين آخرين . كما جرى الحديث عن ذلك حين تكلمت عن المعلقات . وسأبدأ لذلك بالكلام على أولهم ، وهو بإجماع علماء الشعر : امرؤ القيس .

وامرؤ القيس ، هو على رأس شعراء الجاهلية في الذكر والشهرة ، وعلى رأس أصحاب (المعلقات السبع) . وقد أوصله أهل الأخبار الى (قيصر) ، وجعلوا له معه حكايات ثم قبروه بـ (أنقرة) الى جانب قبر ابنة بعض الملوك الروم[1] .

---

١ نزهة الجليس (١٤٧/٢ وما بعدها) ، السيوطي ، شرح (٢١) ، الاغاني (٦٢/٨ وما بعدها) ، (بولاق) ، الخزانة (٥٣٢/٣) .

وختموا حياته بخاتمة مؤلمة مفجعة ، وقالوا إنه عرف بـ (ذي القروح) ، لأن ملك الروم كساه حلة مسمومة فقرحته[1] ، أو لقوله :

وبدلت قرحاً دامياً بعد صحة لعل منايانا تحـوّلن أبؤسا[2]

ويرى (بروكلمن) ان قصة موت (امرىء القيس) ، بسبب الحلة المسمومة، أسطورة تشبه الأسطورة التي حصلت لهرقل البطل اليوناني الشهير[3] .

ودعوه بـ (الملك الضلّيل) ، و (الملك المضلل)[4] . وذكروا انه سعى وجدّ لإعادة ملك والده ، ولكنه باء بالفشل ، وكان آخر ما فعله في هذا الباب ، أن ذهب الى (القسطنطينية) لمقابلة (قيصر) لإقناعه بمساعدته في الحصول على حقه، وتقويته لينتقم من قتلة والده ، وليعيد الحكم الى كندة ، فكان مصيره ان جاءه الموت وهو في طريقه ، على نحو ما تقصه علينا قصص أهل الأخبار .

وما قصة موته من قروح أصيب بها من لبسه الحلة المسمومة ، إلا أسطورة . ويرى (بروكلمن) احتمال ظهورها من سوء فهم الأبيات ١٢–١٤ من القصيدة (٣٠) من ديوانه . ولعل هذه القصة هي التي أوجدت له اللقب الذي لقّب به ، وهو (ذو القروح) . وأنا لا أستبعد احتمال اصابته بدمامل أو بمرض جلدي آخر ، قرحت جلده ، ومات منها ، فعرف لذلك بـ (ذي القروح) ، وأوجدت له قصة الحلة المسمومة على نحو ما أوجدته مخيلة أهل الأخبار .

ويذكر أهل الأخبار ان (امـرأ القيس) لما احتضر بأنقرة ، نظر الى قبر فسأل عنه ، فقالوا قبر امرأة غريبة ، فقال :

---

١ المستطرف (٢/٣٥) ، سرح العيون ، لابن نباتة (١٨١) ، (بولاق) ، العمـدة (١/٤١ وما بعدها ، ٩٧) ، شرح القصائد العشر (٧ ، ٤٦) ، المؤتلف والمختلف ، للامدي (٩ وما بعدها) ، قال الفرزدق :

وهب القصائد لي النوابغ اذ مضوا وأبو يزيد وذو القـروح وجـرول

ديوان الفرزدق (٧٢٠ وما بعدها) ، النقائض (٢٠٠ وما بعدها) ..

٢ شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها ، للشيخ أحمد بن الامين الشنقيطي (ص ٥) (طبعة دار الاندلس) .

٣ بروكلمن (١/٩٩) .

٤ تاج العروس (٧/٤١٢) ، (ضلل) ، الخزانة (١/١٦٠) ، (بولاق) .

أجارتنا إن الخطوب تنوب وإني مقيم ما أقام عسيب
أجارتنا إنّا غريبان ههنا وكل غريب للغريب نسيب
فإن تصلينا فالمودة بيننا وان تهجرينا فالغريب غريب

وورد في كتاب : مقاتل الفرسان – لأبي عبيدة ، ان صخر بن عمرو الشريد أخا الخنساء ، قال لما أدركه الموت :

أجارتنا إن الخطوب تنوب علينا وكل المخطئين مُصيب
أجارتنا لست الغداة بظاعن وإني مقيم ما أقام عسيب

ومات فدفن بقرب عسيب . فلعلها تواردا »[1] .

وتذكر قصة ، أن (امرأ القيس) دخل مع القيصر الحمام،فإذا قيصرأقلف ، فقال :

إني حلفت يميناً غير كاذبة أنّكَ أقلفُ إلا ما جنى القمرُ
إذا طعنت به مالت عِمامته كما تجمع تحت الفلكة الوبر

وتذكر القصة ان ابنة القيصر نظرت اليه فعشقته ، فكان يأتيها وتأتيه،وطَبِنَ (الطمّاح بن قيس) الأسدي لهما ، وكان حجر قتل أباه ، فوشى به الى الملك، فخرج امرؤ القيس متسرعاً ، فبعث اليه قيصر بحلة مسمومة ، فتناثر لحمه وتفطر جسده . وكان يحمله (جابر بن حني) التغلبي ، فذلك قوله :

فإما تريني في رحالة جابرٍ على حرج كالقر تخفق أكفاني
فيا ربّ مكروب كررت وراءه وعانٍ فككت الغلّ عنه ففداني
إذا المرء لم يحزن عليه لسانه فليس على شيء سواه بحزّان[2]

ولم ينس (ابن الكلبي) من ذكر آخر كلمة قالها شاعرنا حين حضرته الوفاة، فقال إنه قال :

---

١ السيوطي ، شرح (٧١٥) ، نزهة الجليس (١٤٧/٢) .
٢ الشعر والشعراء (٥٢/١ وما بعدها) ، (الثقافة) .

وطعنة مُسحنفرة وجفنة متعنجرة تبقى غداً بأنقرة

فكان هذا آخر شيء تكلم به ، ثم مات[1] .

ورويت كلماته الأخيرة على هذه الصورة :

ربّ خطبة مسحنفره وطعنة مثعنجره
وجعبة متحيره تدفن غداً بأنقره

كما روى شعره الذي قاله يخاطب قبراً لامرأة زعم انها من بنات ملوك الروم، على هذا النحو :

أجارتنا إنّ المزارَ قريب وإني مقيم ما أقام عسيب
أجارتنا إنّا غريبان ههنا وكل غريب للغريب نسيب[2]

وهكذا نجد الرواة يختلفون فيما بينهم في رواية هذه الأشعار التي صنعت على لسان الشاعر ، لتكون مادة مقومة للقصة . وكان آخر ما صنعوه لإتمام القصة ، أن أوجدوا له قبراً بأنقرة ، اتخذوه الى جانب قبر منفرد منعزل ، هو قبر إحدى بنات ملك من ملوك الروم ، أوصاهم به (امرؤ القيس) نفسه لما رأى دنو أجله . فكانت الخاتمة مؤلمة ، وكان الاختيار موفقاً جداً ، فالقبر قبر امرأة ، وكان صاحبنا متيماً بحب النساء ، وكانت المرأة بنتاً لملك من ملوك الروم ، فهي من طبقته ، وتصلح أن تكون جارة له ، وهو ابن ملك ، وكان صديقاً حميماً لقيصر الروم ، يدخل معه الحمام ، ويراه عارياً تماماً ، أقلف . فابنة ملك من ملوك الروم ، تصلح لأن تكون له جارة وصاحبة لهذا القبر ، وهكذا قبروا الاثنين في قبرين متجاورين .

وقد زعموا أن امرأ القيس كان « مثناثاً لا ذكر له ، وغيوراً شديد الغيرة ، فإذا ولدت له بنت وأدها ، فلما رأى ذلك نساءُه غيبن أولادهن في أحياء العرب، وبلغه ذلك فتتبعهن حتى قتلهن »[3] .

---

١ الشعر والشعراء (١/٥٣) ، (الثقافة) ، نزهة الجليس (٢/١٥٣) .
٢ الشعر والشعراء (١/٦٣) ، (الثقافة) .
٣ الشعر والشعراء (١/٦٣) ، (الثقافة) .

وزعموا أنه كان مع جماله ووسامتـــه وحسنه « مُفرّكاً لا تريده النساء إذا جرّبنه . وقال لامرأة تزوّجها : ما يكره النساء مني ؟ قالت : يكرهـن منك أنك ثقيل الصدر ، خفيف العجز ، سريع الاراقة ، بطيء الافاقة . وسأل أخرى عن مثل ذلك فقالت : يكرهن منك أنك إذا عَرِقْتَ فُحتَ بريح كلـــب ! فقال : أنت صدقتني ، إن أهلي أرضعوني بلبن كلبة . ولم تصبر عليه إلا امرأة من كندة يقال لها هند ، وكان أكثر ولده منها »[1] .

وتزعم قصة أن قيصر وجه معه جيشاً ، ليعاونه على استعادة ملكـه ، فوشى به رجل من (بني أسد) يقال له (الطماح) ، فهمّ بقتلـــه ، وأرسل اليه في أثره بحلة مسمومة مع رجل ، أدخله الحمام وكساه إياها بعد خروجه ، فلما لبسها تنفط بدنه[2] . وزعم (الجاحظ) أنه « راسل بنت قيصر وأراد أن يخدعها عـن نفسها ، وبلغ ذلك قيصر وأراد أن يقتله ، فتذمم من ذلك ، وأمر بقميص فغمس في السم ، وقال لامرىء القيس : إلبس هذا القميص فإني أحببت أن أوثرك به على نفسي لحسنه وبهائه فعمل السم في جسمه وكثرت فيه القروح فمـات منها ، فسمي ذا القروح . وقد كان قيل لقيصر قبل ذلك إنه هجاه ، فعندها يقول :

ظلمت له نفسي بأن جئت راغباً إليه وقد سيّرت فيه القوافيا
فإن أكُ مظلوماً فقدماً ظلمتـــه وبالصاع يُجزى مثل ما قد جزانيا[3]

. قال علماء الشعر : كان (امرؤ القيس) ممن يتعهـر في شعره[4] ، وقد سبق الشعراء الى أشياء ابتدعها ، واستحسنها العرب ، واتبعته عليهـــا الشعراء ، من استيقافه صحبه في الديار ، ورقة النسيب ، وقرب المأخذ . وله تشبيهات مستجادة ، واجادة في صفة الفرس ، وفي الوصف[5] . « واجتمع عند (عبد الملك) أشراف من الناس والشعراء ، فسألهم عن أرق بيت قالته العـــرب ، فاجتمعوا على بيت امرىء القيس :

---

١ الشعر والشعراء (١/٦٣) ، (الثقافة) .
٢ نزهة الجليس (٢/١٥٢) .
٣ المحاسن والاضداد (١٤٣) .
٤ الشعر والشعراء (١/٥٣) ، (الثقافة) .
٥ الشعر والشعراء (١/٥٤ وما بعدها) ، (الثقافة) .

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل »[1]

وقال (أبو عبيدة معمر بن المثنى) : « من فضله ، انه أول من فتح الشعر واستوقف ، وبكى في الدمن ، ووصف ما فيها ، ثم قال : دع ذا ـ رغبة عن المنسبة ـ فتبعوا أثره ، وهو أول من شبّه الخيل بالعصا واللقوة والسباع والظباء والطير ، فتبعه الشعراء على تشبيهها بهذه الأوصاف »[2] .

وقال أبو عبيدة : هو أول من قيد الأوابد ، يعني في قوله في وصف الفرس (قيد الأوابد) فتبعه الناس على ذلك .

وقال غيره : هو أول من شبّه الثغر في لونه بشوك السيّال فقال :

منابته مثل السدوس ولونه كشوك السيّال وهو عذبٌ يفيص

فاتبعه الناس . وأول من قال : « فعادى عداء » فاتبعه الناس . وأول من شبّه الحمار (بمقلاء الوليد) وهو عود القُلة و (بكرّ الأندري) ، والكر : الحبل . وشبّه الطلل (بوحي الزبور في العسيب) . والفرس بتيس الحُلب »[3].

وأورد له علماء الشعر أشياء ذكروا انه انفرد بها ، ولم يتمكن أحد من مجاراته بها[4] ، وعابوا عليه أشياء ، دافع عنها بعض العلماء ، وردّوا العائبين عليها . ومما عابوه عليه تصريحه بالزنا والدبيب الى حُرم النساء ، وفجوره بالمتزوجات ، والشعراء تتوقى ذلك في الشعر وإن فعلته[5] . وقد فضله (لبيد بن ربيعة) على جميع الشعراء ، إذ قال : « أشعر الناس ذو القروح ، يعني امرأ القيس » .

وقد ذكر علماء الشعر أبيات شعر لامرىء القيس ، قالوا ان غيره من الشعراء أخذوها أخذاً ، مع تغيير بسيط وأدخلوها في شعرهم ، أو أخذوا أكثر ألفاظها أو معانيها فأضافوها الى شعرهم . من ذلك قول امرىء القيس :

وقوفاً بها صحبي عليّ مطيّهم يقولون : لا تهلك أسى وتجمل

---

١ الشعر والشعراء (١/٥٦) ، (الثقافة) ، ديوانه (١٣) .
٢ الشعر والشعراء (١/٦٨) ، (الثقافة) .
٣ الشعر والشعراء (١/٧٢ وما بعدها) ، (الثقافة) .
٤ الشعر والشعراء (١/٧٣ وما بعدها) ، (الثقافة) .
٥ الشعر والشعراء (١/٥٠) ، (الثقافة) .

أخذه طرفة فقال :

وقوفاً بها صحبي عليّ مطيّهم يقولون : لا تهلك أسى وتجلد

ومثل قول امرىء القيس :

فلأياً بلأيٍ ما حملنا غلامَنا على ظهر محبوك السراة محنّب

أخذه زهير ، فقال :

فلأياً بلأيٍ ما حملنا غلامنا على ظهر محبوك ظماءٍ مفاصله

الى غير ذلك من أمثلة ذكرها (ابن قتيبة) وغيره في مؤلفاتهم عن الشعر والشعراء[1] . إن صحت دلت على ان الشعراء الجاهليين كانوا يحفظون شعر من تقدم عليهم ، وشعر المعاصرين لهم ، وانهم كانوا يتتبعونه ويستقصونه ليحفظوه، ولم يبالوا بعد ذلك اذا أخذوا شيئاً من شعر غيرهم . وهذا يدل أيضاً على ان الشعر الجاهلي كان محفوظاً في الصدور ، يحفظه الشعراء وغيرهم من عشاق الشعر، الى أن جاء الاسلام فدوّن بالقراطيس .

يقول علماء الشعر لم يتقدم امرؤ القيس الشعراء لأنه قال ما لم يقولوا ، أو لأنه كان أول من ابتدأ بالشعر ووضع جادته ومهد سبيله ووضحه لمن جاء بعده من الشعراء ، لكنه سبق إلى أشياء طريفة فاستحسنها الشعراء واتبعوه فيها ، لأنه كان أول من لطف المعاني ، ومن استوقف على الطلول ، ووصف النساء بالظباء والمها والبَيْض ، وشبه الخيل بالعقبان والعصي ، وفرق بين النسيب وما سواه من القصيدة ، وقرب مآخذ الكلام ، فقيّد الأوابد ، وأجاد الاستعارة والتشبيه[2]. وقد ثمن (الباقلاني) شعره بقوله : « وأنتَ لا تشك في جودة شعر امرىء القيس ولا ترتاب في براعته ولا تتوقف في فصاحته ، وتعلم أنه قد أبدع في طرق الشعر أموراً اتُبع فيها من ذكر الديار والوقوف عليها الى ما يتصل بذلك من البديع الذي أبدعه والتشبيه الذي أحدثه والتميح الذي يوجد في شعره والتصرف

---

١ الشعر والشعراء (٦٩/١ وما بعدها) ، (الثقافة) .

٢ الشعر والشعراء (٥٣/١ وما بعدها) .

الكثير الذي تصادفه في قوله ، والوجوه التي ينقسم اليها كلامه من صناعة وطبع وسلاسة وعلو ومتانة ورقة وأسباب تحمد وأمور تؤثر وتمدح . وقد ترى الأدباء يوازنون بشعره فلاناً وفلاناً » . ثم هو يؤاخذ الشاعر على عيوب ذكر أنها عوار في معلقته[1] .

ووضع أهل الأخبار (امرىء القيس) في رأس زمرة عشاق العرب والزناة . وذكروا له عشقه لـ (فاطمة بنت العُبيد بن ثعلبة) العذرية ، وعشقه لـ (أم الحارث) الكلبية ، وعشقه لـ (عنيزة) ، وهي صاحبة يوم (دارة جلجل)[2] ، ورووا له قصة طريفة حدثت له مع صاحبة يوم (دارة جلجل) ، تبين كيف مكر بابنة عمه (عنيزة) ، فأجبرها على أن تتجرد من لباسها ، لينظر اليها وهي تخرج من الغدير مقبلة ومدبرة ، حتى يمتع نظره برؤية جسدها العاري ، ثم كيف نحر ناقته ، وشوى لحمها ، وأخذ يطعم به البنات ، وكيف توسل الى ابنة عمه (عنيزة) لتحمله على غارب بعيرها بعد أن ذبح ناقته وشوى لحمها ليتخذ ذلك حجة له في مشاركة (عنيزة) بعيرها . ثم تروي القصة ، كيف أنه صار يجنح اليها فيدخل رأسه في خدرها فيقبلها . ثم تنتهي القصة بذكر الشعر الذي قاله في هذه المناسبة . حيث يقول :

ويوم عقرتُ للعـذارى مطيّتي ... فيا عجباً من رحلهـا المتحمّل
يظل العذارى يرتمين بلحمهـا ... وشحمٍ كهدّاب الدمقس المفتل
ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة ... فقالت:لك الويلات إنك مُرْجلي
تقول وقد مال الغبيط بنا معاً : ... عقرت بعيري يا امرىءالقيس فانزل
فقلت لها : سيري وأرخي زمامه ... ولا تبعدينا من جنـاك المعلّل[3]

وراوي هذه القصة هو (محمد بن سلام) ، سمعها كما يقول من (أبي شفقل) راوية (الفرزدق) الشاعر الشهير ، وقد ذكر هذا الراوي أنه لم يرَ رجلاً كان أروى لأحاديث امرىء القيس وأشعاره من الفرزدق ، وذلك لأن (امرىء القيس)

---

١ اعجاز القران (٧٤ وما بعدها) .
٢ الشعر والشعراء (٦٤/١) .
٣ الشعر والشعراء (٦٦/١) ، الثقافة .

كان قد أقام في (بني دارم) رهط الفرزدق حيناً ، حين رأى من أبيه جفوة، فمن ثَمَّ أخذ (الفرزدق) علمه بأخبار (امرىء القيس) وأحاديثه وأشعاره[1] .

ويكثر (امرؤ القيس) من ذكر أسماء المواضع التي نزل بها ، وقد أفادنا بذلك في معرفة تلك المواضع . وفي جملة ما ذكره موضع (الخص) ، وقد اشتهر بالخمر . وهو قرية من أسفل الفرات :

كأن التّجار اصعدوا بسبيئة من الخص حتى أنزلوها على يسر[2]

وقوله :

لمن الديار عرفتها بسحام فعمايتين فهضب ذي أقدام
فصفا الأطيط فصاحتين فعاسم تمشي النعاج بها مع الآرام[3]

وقد ذكر عشرة مواضع من أرض البحرين بقوله :

غشيت ديار الحيّ بالبكرات فعارمة فبرقة العيرات
فغول فحليت فنفي فمنعج الى عاقل فالجب ذي الأمرات[4]

وله أشعار أخرى كثر فيها ورود أسماء المواضع[5] .

ويذكر ان قوماً من أهل اليمن أقبلوا يريدون النبي ، فضلّوا ، ووقعوا على غير ماء ، فمكثوا ثلاثاً لا يقدرون على الماء ، وأوشكوا على الهلاك.فأنشد أحدهم بيتين من شعر امرىء القيس ، هما :

لما رأت ان الشريعة همّها وان البياضَ من فرائصها دامي
تيممت العين التي عند ضارجٍ يفيء عليها الظل عرمضها طامي

فقال أحدهم : ضارج عندكم ، وأشار اليه فمشوا على الركب، فإذا ماء غدق،

---

١ الشعر والشعراء (٦٤/١) ، (الثقافة) .
٢ الصفة (١٢٩) .
٣ الصفة (١٥١ ، ٢٢٦) .
٤ الصفة (٢٢٥) .
٥ الصفة (٢٢٩ ومابعدها) .

واذا عليه العَرمض ، والظل يفيء عليه ، فشربوا وحملوا ولولا ذلك لهلكوا[1] . ولما بلغوا النبي ، أخبروه خبرهم ، فقال : « ذاك رجل مذكور في الدنيا شريف فيها ، منسي في الآخرة خامل فيها ، يجيء يوم القيامة معه لواء الشعراء الى النار »[2]. وروي عن (عمر) قوله في (امرىء القيس) : « سابق الشعراء ، خسف لهم عين الشعر »[3] . ونجد لهذا الشاعر ذكراً في كتب الحديث[4] .

وذكر أن (امرأ القيس) أشار الى (ابن مندلة) (ملك العرب) بقوله:

فأقسمت لا أعطي مليكاً ظلامة ولا سوقة حتى يؤوب ابن مندلة

وروي أن هذا البيت ، هو لعمرو بن جوين[5] .

وتذكر قصة رواهـــا (أبو الحسين) النسابة ، أن (حجراً) والد امرىء القيس نهى ابنه عن قول الشعر ، فلما لم ينته عنه ، أمر أحد غلمانه أن يقتلـــه ويأتيه بعينيه ، فانطلق به الغلام ، فاستودعه جبلاً منيفاً ، وعـــلم أن أباه سيندم على قتله . وعمد الغـــلام الى جؤذر كان عنده فنحره وامتلخ عينيه ، فأتى بهما حجراً ، فانفجر حجر من الغضب والندم،حتى همّ بقتل الغلام ، فأخبره الغلام، أنه لم يقتلـــه ، وانه لا زال حياً ، وانه كان يعلم أن والده سيندم على قتله . فأمره عندئذ بالذهاب اليه ، والعودة به الى بيته ، فأتاه به . وكف امرؤ القيس من قول الشعر حتى قتل أبوه[6] . وهي قصة نجد أمثالها في أساطير الأمم الأخرى . والى هذه القصة أشار (امرؤ القيس) بقوله :

فـــلا تتركني يا ربيعُ لهـذه وكنت أراني قبلها بك واثقاً

---

١ الشعر والشعراء (١/٥٥) ، (الثقافة) .
٢ الشعر والشعراء (١/٦٧ وما بعدها) ، (الثقافة) .
٣ الشعر والشعراء (١/٦٨) ، (الثقافة) .
٤ احمد بن حنبل ، مسند (٢/٢٢٨) ، طبقات الشافعية ، للسبكي (١/٢٥٦) ، (١٩٦٤ م) .
٥ تاج العروس (٨/١٣٢) ، (ندل) .
٦ شرح شواهد المغني ، للسيوطي (٢١) ، بروكلمن ، تأريخ الادب العربي (١/٩٨)، « دعا مولي له يقال له ربيعة » ، الشعر والشعـــراء ، (١/٥١) ، (الثقافـــة) ، الخزانة (١/١٦٠ وما بعدها) .

وتذكر رواية أخرى ان أباه نهاه بعد عودته اليه من قول الشعر ، ثم انه قال:

ألا انعم صباحاً أيها الطلل البالي

فبلغ ذلك أباه فطرده[1] .

والمشهور بين علماء الشعر ، ان امرأ القيس انما طرد ، لأنه كان يقول الشعر ، وكانت الملوك تأنف من ذلك ، فزجره أبوه ومنعه عن قوله ، فلما لم ينته طرده. فكان يسير في أحياء العرب ومعه أخلاط من شذّاذ العرب من طيء وكلب وبكر ابن وائل ، فإذا صادف غديراً أو روضة أو موضع صيد أقام ، فذبح لمن معه في كل يوم وخرج الى الصيد فتصيّد ثم عاد فأكل وأكلوا معه وشرب الخمر وسقاهم وغنّته قيانه ، ولا يزال كذلك حتى ينفد ماء ذلك الغدير ، ثم ينتقل عنه الى غيره . فأتاه خبر أبيه ومقتله وهو بدمّون من أرض اليمن ، فقال : ضيعني صغيراً وحمّلني دمه كبيراً ، لا صحو اليوم ولا سكر غداً ، اليوم خمر وغداً أمر ! ثم شرب سبعاً ، فلما صحا آلى أن لا يأكل لحماً ، ولا يشرب خمراً، ولا يدّهن ولا يصيب امرأة ، ولا يغسل رأسه حتى يدرك ثأره . وهكذا صيروا (امرأ القيس) من الصعاليك ، وجعلوه في عدادهم ، فاتكاً كثير الغزل والولوع بالنساء ، يتنقل في أحياء العرب ويغير بهم ، فيصف الأوثان ، ويبكي على الدمن، ويذكر الرسوم والأطلال وغير ذلك[2] .

ويرجع سند أكثر الروايات المتقدمة والتي بعدها الى (ابن الكلبي) ، ولابن الكلبي كتاب يتصل بامرىء القيس اسمه : « كتاب تسمية ما في شعر امرىء القيس من أسماء الرجال والنساء »[3] ، وله روايات مدوّنة في الأغاني وفي كتب أدب أخرى عن هذا الشاعر وعن ملوك كندة ، ويظهر أنه قد اصطنع قصص امرىء القيس ، وأضاف على القصص شعراً ، ليكون له سنداً وتفسيراً ، وقد يكون أخذ القصص من أفواه الأعراب والرواة الذين حرفوا تأريخ امرىء القيس ووالده وحوروه وحوّلوه على طريقتهم المألوفة الى قصص وأساطير ، تميل نفوسهم الى الاستماع اليها . فنقلها عنهم كما سمعها . غير أن (ابن الكلبي) ، كان كما

---

١ الشعر والشعراء (١/٥٢) ، (الثقافة) .
٢ نزهة الجليس (٢/١٤٧ وما بعدها) .
٣ الفهرست (١٤٨) .

نعلم من الوضاعين ، وكان من العارفين بدروب الشعر ، وكان أيضاً مثل والده ممن يضع الشعر على ألسنة الناس .

وتذكر قصة (امرىء القيس) أنه انتقم من (بني أسد) قتلة والده، فقرت عيناه بأخذه الثأر منهم . وقد نظم ذلك في شعره[1] . وتذكر أنه خرج اليهم أول ما خرج مع بكر وتغلب ، وهم الذين كانوا معه ، فأدرك بني أسد ظهراً ، فكثرت الجرحى والقتلى ، وحجز الليل بينهم ، وهربت بنو أسد ، فلما أصبحت بكر وتغلب ، أبوا أن يتبعوهم وقالوا له : قد أصبت ثأرك . قال : والله ما فعلت ولا أصبتُ من بني كاهل ولا من غيرهم من بني أسد أحداً ؛ قالوا : بلى ، ولكنك رجل مشؤوم ، وانصرفوا عنه ، فمشى هارباً لوجهه ، حتى أمده (مرثد الخير بن ذي جدن) الحميري ، وتبعه شذاذ من العرب ، واستأجر رجالاً من القبائل ، ثم خرج فظفر ببني أسد ، وألح المنذر في طلب امرىء القيس ووجه اليه الجيوش ، فتفرق من كان معه ونجا في عصبته . فكان ينزل على بعض العرب ويرحل حتى قدم على السموأل ، ثم على قيصر ، على نحو ما ذكرت[2] .

وتذكر رواية ان (امرأ القيس) لما مر ببكر بن وائل طالباً منهم النصرة ، سألهم عن شاعر محسن فيهم ، فأتوه بعمرو بن قميئة الضبعي ، وقد أسن، فأعجب به (امرؤ القيس) ، فأخذه معه ، حتى ذهب الى (الحارث بن أبي شمر) الغساني ، طالباً منه النجدة ، فقال له : اني لست أقدر على المسير الى العراق في هذا الوقت ، ولكني أسير معك الى الملك قيصر ، فهو أقوى مني على ما سألت، وكانت للحارث وفادة على الملك ، فأوفده معه[3] . فالذي أخذ (امرأ القيس) الى الروم هو (الحارث) ، على هذه الرواية . والمعروف من الروايات الأخرى ان هذا الملك طالب (السموأل) بأسلحة (امرىء القيس) التي أودعها عنده، فلما أبى السموأل إلا اعطاءها الى (آل امرىء القيس) الشرعيين وورثته، حاصره، وقتل ابنه ، فضربت العرب بالسموأل المثل في الوفاء[4] .

---

١ تأريخ ملوك العرب الاولية (ص ١٢٦ وما بعدها) .
٢ الرافعي (٣/١٩٥ وما بعدها) .
٣ الخزانة (٣/٦١٣ وما بعدها) ، (بولاق) .
٤ نزهة الجليس (٢/١٥١) .

وكنية امرىء القيس (أبو يزيد) ، ويقال : (أبو وهب) ، ويقال : (أبو الحارث) ، ويقال (أبو كبشة) . وأما اسمه ، فاختلف فيه ، فقيل : (عدي) ، وقيل (مليكة) ، وقيل (حندج) . وكان يقال له : (الملك الضليل) ، و (الضليل) ، و (ذو القروح)[1] .

ويذكر أهل الأخبار ان (امرأ القيس) كان معنّا عرّيضاً ينازع كل من قال انه شاعر ، فنازع (التوأم اليشكري)، (الحارث بن التوءم)[2] ، فقال له : « إن كنت شاعراً فلطّ أنصاف ما أقول وأجزها » . ونازع (عبيد بن الأبرص)[3].

وإذا ما أخذنا بآراء بعض المستشرقين عن سنة وفاة الشاعر (امرىء القيس) من أنها كانت بين السنة (٥٣٠) والسنة (٥٤٠) بعد الميلاد[4] ، فيكون عصر أقدم شعر جاهلي وصل الينا لا يزيد عمره على القرن السادس للميلاد ، أو أواخر القرن الخامس للميلاد . وهذا التقدير معقول يتناسب مع الأخبار المروية عن هذا الشاعر . روي أن رؤبة بن العجاج قال : حدثني أبي عن أبيه قال : حدثتني عمّي . قالت : سألت امرأ القيس ، ما معنى قولك : كرّك لأمين على نابل ؟ فقال : مررت بنابل وصاحبه يناوله الريش لُؤاماً وظُهاراً ، فما رأيت أسرع منه ولا أحسن ، فشبهت به[5] . ولو أخذنا بهذه الرواية وصدّقناها ، فلن نتمكن من الارتفاع بها من حيث الزمن الى أكثر من هذا التقدير .

وذكر أن (امرأ القيس) لمّا هرب من (المنذر بن ماء السماء) صار الى جبلى طيء : أجا وسلمى ، فتزوج أم جندب . وصادف أن جاءه (علقمة بن عبدة التميمي) ، فتذاكرا الشعر ، فقال امرؤ القيس:أنا أشعر منك ، وقال علقمة : بل أنا أشعر منك ! فتحاكما الى أم جندب ، فأخذ كل واحد منهما يقول شعراً وهي تسمع ، وتعلق عليه ، ففضلت أم جندب (علقمة) عليه ، فغضب (امرؤ القيس) وطلقها ، فخلف عليها علقمة ، فسمي علقمة الفحل[1].

---

١ السيوطي ، شرح (٢١ وما بعدها) .
٢ « قتادة بن التوأم اليشكري » ، اللسان (٦/٢١٣) ، (مجس) ، « لفي التوأم اليشكري ، واسمه الحارث بن قتادة » ، العمدة (١/٢٠٢) .
٣ اللسان (٦/٢١٤) ، (مجس) ، السيوطي ، شرح (٢٥) ، العمدة (١/١٧٦) ، (٢/٨٧) .
٤ تأريخ العرب قبل الاسلام (٣/٢٦٥) .
٥ التنبيهات على أغلاط الرواة (٤) .
٦ السيوطي ، شرح شواهد (٩٢ وما بعدها) .

وجاء في كتاب (الشعر والشعراء) : « وكان امرؤ القيس في زمان أنو شروان ملك العجم ، لأني وجدت الباعث في طلب سلاحه الحارث بن أبي شمر الغساني . وهو الحارث الأكبر . والحارث هو قاتل المنذر بن امرىء القيس الـذي نصّبه أنو شروان بالحيرة . ووجدت بين أول ولاية أنو شروان وبين مولـد النبي صلى الله عليه وسلم ، أربعين سنة ، كأنه ولد لثلاث سنين خلت من ولاية هرمز بن كسرى ، ومما يشهد لهذا ، ان عمرو بن المُسبّح الطائي وفد على النبي صلى الله عليه وسلم ، الى المدينة في وفود العرب وهو ابن مائة وخمسين سنة وأسلم . وعمرو يومئذ أرمى العرب . وهو الذي ذكـره امرؤ القيس »[1] .

و (عمرو بن المُسبّح) (المسيح؟) الطائي ، هو الذي عناه (امرؤ القيس) بقوله :

رُبّ رامٍ من بني ثعل مخرج كفيه من سُتَرَه

وكان كما يزعم أهل الأخبار أرمى العرب يومئذ ومن فرسانهـم المعروفين . ومن المعمرين . عمّر على ما يقولون مائة وخمسين سنة ، وجعلوه ممن أدرك أيام الرسول ، بل زعموا انه وفد عليه فأسلم . وجعل بعض أهـل الأخبار وفاته في خلافة (عثمان) . وتوقف (ابن قتيبة) في (المعارف) ، فقال : « لا يدرى أقبض قبل النبي صلى الله عليه وسلم ، أو بعده »[2] ، « ولست أدري أقبض قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، أم بعده »[3] .

وذكروا أنه هو القائل :

لقد عمرت حـتى شف عمري على عمرو بن علة وابن وهب[4]

ولا يعقل خبر بقاء (عمرو بن المسيح) الطائي الى أيام النبي ، ولا سيما خبر

---

١ الشعر والشعراء (٥٠ وما بعدها) ، (٦٦/١) ، (الثقافة) .
٢ الاصابة (١٧/٣) ، (رقم ٥٩٦٤) ، ابن دريد ، الاشتقـاق (٢٣٢) ، المعمرون (٨٦) ، الشعر والشعـراء (٦٧/١) ، (الثقافـة) ، الاستيعاب (٥١٣/٢) ، (حاشية على الاصابة) .
٣ المعارف (٣١٤) .
٤ الاصابة (١٧/٣) ، (رقم ٥٩٦٤) .

من جعل موته في خلافة عثمان . ولعل شخصاً كان اسمه مثل هذا الإسم ، فاشتبه أمره على الرواة ، فظنوه صاحب امرىء القيس . ولو كان هو صاحبه لما سكت عشاق الشعر والباحثون عن شعر صاحبه عنه ، ولوجدنا له خبراً مع الرسول أو عمر عن حياة امرىء القيس .

وقد أشير الى (البريد) في شعر (امرىء القيس) ، إذ ذكر أنه نادم (قيصر) وأركبه البريد :

ونادمت قيصر في ملكه فأوجهني وركبت البريدا
إذا ما ازدحمنا على سكة سبقت الفُرانق سبقاً بعيدا[1]

وكانت البرد منظومة الى كسرى ، من أقصى بلاد اليمن الى بابه ، أيام وهرز ، وأيام قتل مسروق عظيم الحبشة،وكذلك كانت برد كسرى الى الحيرة: الى النعمان وآبائه ، وكذلك كانت برده الى البحرين : الى المكعبر مرزبان الزارة، والى مشكاب ، والى المنذر بن ساوى ، وكذلك كانت برده الى عمان ، الى الجلندى بن المستكبر ، فكانت بادية العرب وحاضرتها مغمورتين بـ ده ، إلا ما كان من ناحية الشام ، فإن تلك الناحية من مملكة خثعم وغسان الى الروم ، إلا أيام غلبت فارس على الروم »[2] .

ويرجع الفضل في تخليد شعر (امرىء القيس) الى (حماد) الراوية ، والى (أبي عمرو بن العلاء)[3] . وكان (أبو عمرو بن العلاء) يقول : « فتح الشعر بامرىء القيس وختم بذي الرمة)[4] . والى (الفرزدق) الذي كان من أروى الناس لأحاديثه وأشعاره[5] ، والى (ابن الكلبي) الذي نجد عنه نقولاً في كتاب (الشعر والشعراء) لابن قتيبة ، تخص (امرأ القيس)[6] ، وفي كتاب الأغاني ، وهو من أهم الأخباريين الراوين لأخبار كندة .

---

١ ديوانه (٢٦٢) ، رسائل الجاحظ (١/٢٧٥ ، ٢٩٠ وما بعدها) ، (كتاب البغال) .
٢ رسائل الجاحظ (١/٢٩١ وما بعدها) ، (كتاب البغال) .
٣ المزهر (٢/٢٥٣) ، بروكلمن ، تأريخ الادب العربي (١/٩٩) .
٤ السيوطي ، شرح شواهد (١/١٤٢) .
٥ الشعر والشعراء (١/٦٤) ، (الثقافة) .
٦ الشعر والشعراء (١/٥٣ ، ٥٩ ، ٦٧ ، ٦٨) .

وذكر (الرياشي) ان كثيراً من الشعر الوارد في ديوان امرىء القيس ، هو منحول عليه ، وهو لجماعة من أصحابه ، مثل عمرو بن قميئة[1]. وقد نص بعضهم على انه لم يصح له إلا نيف وعشرون شعراً بين طويل وقطعة[2] . وقد عُني علماء الشعر والأخبار بجمع أشعاره في ديوان ، فجمعه غير واحد منهم ، وشرحه كثيرون ، وطبع جملة طبعات ، وترجم الى مختلف اللغات[3] .

وقد اختلف رواة الشعر في ضبط عدد أبيات معلقة امرىء القيس، كما اختلفوا في تقديم وتأخير الأبيات ، « وفي رواية بعض الألفاظ ، بحيث لا تجتمع اثنتان منها على صورة واحدة »[4] . وذكر (البغدادي) : أن قصيدة امرىء القيس التي مطلعها :

ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي

هي من عيون شعره ، وعدتها ستة وخمسون بيتاً ، وأكثرها وقعت شواهد في كتب المؤلفين ، وفي كتب النحو والمعاني[5] .

« وكان امرؤ القيس يروي شعر أبي دؤاد الإيادي ويتوكأ عليه . وهو فحل قديم كان أحد نعّات الخيل المجيدين » . « ثم هو كان يعرف أن امرأ القيس ابن حذام يبكي في شعره الطلول ، فأخذ ذلك عنه كما أخذ صفة الخيل عن أبي دؤاد ، وتراه يحاول أن يلحقه في إجادة نعتها والشهرة بذلك ، حتى لا يخلو أكثر شعره من هذا الوصف »[6] .

وقد كان يعاصره من الشعراء المعروفين : علقمة بن عبدة، وعبيد بن الأبرص، والشنفرى ، وسلامة بن جندل ، والمثقب العبدي ، والبراق بن روحان ، وتأبط شراً ، والتوءم اليشكري .

---

١ الموشح للمرزباني (٣٤) ، بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١/٩٩) .
٢ العمدة (١/٦٧) ، الرافعي (٣/٢٠٣) .
٣ راجع التفاصيل في بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١/١٠٠ وما بعدهـا) ، ودائرة المعارف الاسلامية .
٤ الرافعي (٣/١٩٩) .
٥ الخزانة (١/٢٨) ، (بولاق) .
٦ الرافعي (٣/٢٠٤) .

وزعم أن (التوءم) اليشكري لقي (امرأ القيس) يوماً فقال له : إن كنت شاعراً كما تقول فلط لي أنصاف ما أقول فأجزها ، قال : نعم : فقال امرؤ القيس :

أحارِ ترى بريقاً هب وَهْناً

فقال التوءم : كنار مجوس تستعر استعارا

واستمرا على ذلك . ولما رآه امرؤ القيس قد ماتنه ، ولم يكن في أيامه من يطاوله ، آلى أن لا ينازع الشعر أحداً أبداً [1] .

ونجد للباقلاني صاحب كتاب (إعجاز القرآن) آراءً في بعض أشعار (امرىء القيس) ، حيث ينتقد بعض الأبيات ويبين ما فيها من عيوب [2] . كما نجد في كتب (النقد) آراءً في شعره ، وهي بين مستحسن ومستهجن لبعض الأبيات أو القصائد . « ومن الخصائص العروضية في شعره كثرة استعمال الضرب المقبوض في الطويل ، وكثرة الإقواء في القافية ، وكثرة التصريع في غير أول القصيدة » [3] .

وللقدماء ملاحظات عن شعر (امرىء القيس) ، وقد شك بعض منهم في كثير من شعره وذهبوا الى انه من الموضوعات ، وقد أشاروا اليه ، ثم جاء المستشرقون ، فركنوا الى ما قاله القدماء عنه ، وأبدوا رأيهم فيه . وتحدث المحدثون من العرب عنه ، وعلى رأسهم الدكتور طه حسين ، حيث أنكر شعره لحجج أوردها في كتابه في الأدب الجاهلي [4] .

وعاش في أيام (امرىء القيس) شاعر آخر عرف أيضاً بامرىء القيس ، هو (امرؤ القيس بن حمام بن عبيدة بن هبل بن أبي زهير بن جناب بن هبل) [5] .

و (طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك) ،من قيس بن ثعلبة . وهو ابن أخي (المرقش الأصغر) ، وكان من المقربين الى عمرو بن هند) ملك

---

١ الرافعي (٢٢٨/٣) .
٢ الباقلاني ، اعجاز القرآن .
٣ بروكلمن (٩٩/١) .
٤ راجع أيضا شوقي ضيف : العصر الجاهلي (ص ٢٤٨ وما بعدها) .
٥ السيوطي ، شرح شواهد (٢٦/١) .

الحيرة ، ومن المنـــادمين لأخيه (أبو قابوس) . وهو ابن أخت (جرير بن عبد المسيح) المعروف بـ (المتلمس) . وقد قال الشعر وهو صغير السن، ومات أبوه وهو صغـــير ، وأكل أعمامه ماله ، وأبوا تقسيمه ، فهجاهم ، واشتهر بمعلقته التي عاتب بها ابن عمه (مالكاً) لأنه لم يُعِنْ أخاه (معبداً) في جمع شتات إبله . وقد قتل بالبحرين على ما يذكره أهل الأخبار في قصص متضارب، اختلف في سبكه الرواة [1] .

واسم (طرفة) عمرو ، وانما سمي طرفة لقوله :

لا تعجلا بالبكاء اليوم مطرفاً ولا أميريكما بالدار إذ وقفا

وقيل إن كنيته (أبو عمرو) [2] . وقد فضل بعض علماء الشعر شعره على شعر سائر الشعراء الجاهليين [3] .

وكان (طرفة) أحدث الشعراء سناً وأقلهم عمراً ، قتـــل وهو ابن عشرين سنة . فيقال له (ابن العشرين) . وقيل بضع وعشرين سنة . وأمه (وردة) من رهط أبيه ، وفيها يقول لأخواله وقد ظلموها حقها ، بأن يعطوها حقها :

ما تنظرون بمال وردة فيكم صَغُرَ البنون ورهط وردة غيَّب [4]

ويقال إن أول شعر قاله (طرفة) انه خرج مع عمه في سفر ، فنصب فخاً، فلما أراد الرحيل قال :

يا لك من قبرة بمعمر خلا لكِ الجو فبيضي واصفري
ونقري ما شئت أن تنقري قد رفع الفخ فماذا تحذري
لا بد يوماً أن تصادي فاصبري [5]

---

١ الخزانة (٤١٣/١) (بولاق) ، الاغاني (١٨٥/٢١) ، الموشح (٥٧) ، المرزباني، معجم (٢٠١) ، طبقات ابن سلام (١١٥) ، الشعر والشعراء (١١٧/١ ومـــا بعدها) ، الخزانة (٤١٩/٢) ، (هارون) .
٢ السيوطي ، شرح شواهد (٨٠٥/٢) ، المزهر (٤٤١/٢) .
٣ المصدر نفسه .
٤ الابيات في ديوانه (١١) ، الشعر والشعراء (١١٩/١) ، (الثقافة) .
٥ الشعر والشعراء (١٢٠/١) ، (الثقافة) ، الخزانة (٤١٧/١) .

وروي ان أخته رثته بقولها :

عددنا له ستاً وعشرين حجة فلما توفاها استوى سيّداً ضخما
فُجعنا به لما رجونا إيابه على خير حال لا وليداً ولا قحما[1]

ورغم قلة ما نسب الى (طرفة) من الشعر ، فقد قدمه علماء الشعر على غيره من الشعراء بأن جعلوا ترتيبه الثاني بعد امرىء القيس ، ولهذا ثنوا بمعلقته . ذكر (ابن قتيبة) انه أجود الشعراء قصيدة[2] . وقد ذكر (ابن سلام) ان معظم شعر (طرفة) قد ضاع حتى لم يبق منه بأيدي المصححين لشعره إلا بقدر عشر قصائد ، مع انه كان من أقدم الفحول . وقد حمل عليه كثيراً من الشعر[3] .

وكان في حسب من قومه ، جريئاً على هجائهم وهجاء غيرهم . وكانت أخته عند (عبد عمرو بن بشر بن مرثد) ، وكان (عبد عمرو) سيد أهل زمانه ، فشكت أخت طرفة شيئاً من أمر زوجها اليه ، فقال :

ولا عيب فيه غير أنّ له غنى وإن له كشحاً ، إذا قام أهضما
وإن نساء الحي يعكفن حوله يقلن ، عسيب من سرارةِ ملهما

فبلغ عمرو بن هند الشعر ، فأبلغه الى (عبد عمرو) وهو معه في صيد ، فقال (عبد عمرو) : أبيت اللعن ؛ الذي قال فيك أشدّ مما قال فيّ ، قال : وقد بلغ من أمره هذا ؟ قال نعم . فأرسل اليه ، وكتب له الى عامله بالبحرين فقتله . في قصة منمقة مدوّنة في أكثر كتب الأدب والأخبار . وقد تعرضت لها في مكان آخر من هذا الكتاب . ويقال ان الذي قتله (المُعلى بن حنش العبدي) ، والذي تولى قتله بيده (معاوية بن مرّة الأيفلي) ، حيّ من طسم وجديس[4] . وقيل (الربيع بن حوثرة) عامله على البحرين[5] . وقيل إن قاتله : (عبد هند

---

١ الخزانة (١/٤١٦) .
٢ الشعر والشعراء (١/١١٧ وما بعدها) ، الخزانة (٢/٤١٩) ، (هارون) .
٣ طبقات (٢٣) .
٤ الشعر والشعراء (١/١١٧ وما بعدها) .
٥ الشعر والشعراء (١/١٢١) ، الخزانة (٢/٤٢١ وما بعدها) ، (هارون) ، الاغاني (٢١/١٢٥) ، نوادر المخطوطات (المجموعة السادسة) (ص ٢١٢ وما بعدها) .

ابن جرد بن جريّ بن جروة بن عمير) التغلبي ، عامل (عمرو بن هند) على البحرين . وان (عمرو بن هند) ، كان قد جعل (طرفة) و (المتلمس) في صحابة (قابوس) أخيه ، فكان (قابوس) يتصيد يوماً ، ويشرب يوماً ، فكان إذا خرج الى الصيد خرجا معه ، فنصبا وركضا يومها ، فـإذا كان يوم لهوه وقفا على بابه يومها كله ، فلما طال ذلك عليهما ، هجا طرفـة (عمرو بن هند) وأخاه ، فبلغ الهجاء الملك ، فقرر قتلهما[1] . وورد أن (عمرو بن هند) ، كان قد رشح أخاه (قابوس بن المنذر) ليملك بعده ، وانه جعـل (طرفة) و (المتلمس) في صحابة (قـابوس) وأمرهما بلزومه ، فكان قابوس شاباً يعجبه اللهو ، وكان يركب للصيد ، فيركض يتصيد ، وهما معه يركضان حتى يرجعا عشية وقد تعبـا ، فيكون قابوس من الغداة في الشراب فيقفان بباب سرادقه الى العشي ، فضجرا منه فهجواه وهجوا عمراً معه ، فبلغ ذلك الهجاء (عمراً) ففعل بهما ما فعل[2] .

ويقال ان (طرفة) كان ينادم يوماً (عمرو بن هند) ، فأشرفت ذات يوم أخته ، فرأى طرفة ظلها في الجام الذي في يده ، فقال :

ألا يا بأبـي الظبيّ الذي يبرقُ شنفاه
ولولا الملك القاعدُ قـد الثمني فاه

فحقد ذلك عليه ، وكان قال أيضاً :

وليتَ لنا مكان الملكِ عمرو رغوثاً حولَ قبتنا تدورُ
لعمرك إن قابوسَ بن هند ليخلط ملكه نوكٌ كثير

وقابوس هو أخو (عمرو بن هند) . وكان فيه لين . ويسمى قينة العرس . فحقد (عمرو بن هند) عليه واستدعاه ، وكتب له كتاباً ، وكتب بمثل ذلك (للمتلمس) ، وشكّ المتلمس في أمر الصحيفة ، ومزقها ، ومضى (طرفة) الى البحرين ، فأخذه (الربيـع بن حوثرة) فسقـاه الخمر حتى أثمله ، ثم فصد أكحله ، فقبره بالبحرين . وكان لطرفة أخ يقال له (معبد بن العبد) ، فطلب

---

١ أسماء المغتالين (المجموعة السادسة) . (ص ٢١١ وما بعدها) .
٢ الخزانة (٤١٢/١ وما بعدها) .

بديته ، فأخذها من الحواثر[1] .

ويرى (بروكلمن) أن (طرفة) لم ينادم أبا قابوس ، وإنما نادم (عمرو ابن مامة) أخ الملك من أبيه ، باليمامة . وكان قد التجأ الى (مراد) من عداوة أخيه . فعاقب الملك (طرفة) بأخذ إبله التي تركها في (تبالة) من ديار (لخم)، فهجاه طرفة[2] . وقد ذكر (المرتضى) رواية تذكر أن صاحب المتلمس وطرفة هو (النعمان بن المنذر) ، وذلك أشبه بقول طرفة :

أبا منذرٍ كانت غروراً صحيفتي ولم أعطكم في الطوع مالي ولا عرضي
أبا منذرٍ أفنيتَ فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشرّ أهون من بعض

وأبو منذر ، هو النعمان بن المنذر ، وكان النعمان بعد عمرو بن هند ، وقد مدح طرفة النعمان ، فلا يجوز أن يكون عمرو قتله ، فيشبه أن تكون القصة مع النعمان[3] .

وذكر « ان عائشة سئلت : هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر ؟ فقالت : لا ، إلا لبيت طرفة :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزودِ

فجعل يقول : ويأتيك بالأخبار من لم تزود . فقال أبو بكر : ليس هكذا. فقال : اني لست بشاعر ، ولا ينبغي لي »[4] .

وينسب الى طرفة قوله :

عفا من آل ليلى السهـ ـب ، فالأملاح فالغمرُ
فعرق فالرماح فالـ ـلوّى من أهله قفر
وأبـليّ الى الغرّا ءِ فالماوان فالحجـر

---

١ الشعر والشعراء (١/١٢١) ، (النقافة) ، (فليت) ، الخـزانة (١/٤١٢ وما بعدها) .
٢ بروكلمن ، تأريخ الادب العربي (١/٩٢) .
٣ أمالي المرتضى (١/١٨٥) .
٤ السيوطي ، شرح شواهد (٢/٨٠٤ وما بعدها) .

فأمواه الدنا فالنجـ ـد فالصحراء فالنسر
فلاة ترتعيهـا العيـ ـن فالظلمان فالعفـر

وينسب للخرنق أيضاً[1] .

ويقدم علماء الشعر (طرفة) على غيره من الشعراء ، بإجادته وصف الناقة في معلقته على نحو لم يسبق اليه[2] . وقد جعله (لبيـد) بعد (امرىء القيس) في الشعر ، وقال عنه « أبو عبيدة : طرفة أجودهم واحدة ، ولا يلحق بالبحور ، يعني امرأ القيس وزهيراً والنابغة ، ولكنه يوضع مع أصحابه : الحارث بن حلزة وعمرو بن كلثوم وسويد بن أبي كاهل » .

وقد ذكر علماء الشعر أبياتاً جيدة لطرفة سبق بها غيره من الشعراء ، فأخذها عنه الشعراء وضمنوها أو ضمنوا معناها شعرهم . وممن اقتبس منه : (لبيد) و (الطرماح) و (عدي بن زيد) العبادي ، وعبدالله بـن نهيك بن أساف الأنصاري وغيرهم[3] .

وتعدّ (معلقة) (طرفة) أطول المعلقات أبياتاً ، فهي تتألف من (١٠٥) أبيات في شرح القصائد العشر للزوزني[4] ،وقد يزيد عليها بيتاً أو أكثر في بعض الروايات[5]. وتنتهي المعلقة بذكر الموت،وبالنصح ، وبأن الأيام معارة فما استطعت من معروفها فتزود بها ، ثم ختمها بقوله :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكلّ قرين بالمقـارن يقتدي

وهي حِكَم ، لا تصدر في العادة إلا من شيخ شارف على الموت ومن حكيم عرك الأيام ، ومن رجل خبير مجرب . والقصيدة نفسها من نفس رجل ، يجب أن يكون قد خبر الحياة ، ومارس الشعر زمناً ، فهل تكون من نظم شاب هو ابن عشرين سنة ، أو بضع وعشرين ؟

---

١ الصفة (٢٢٥) .
٢ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١/٩٢) .
٣ الشعر والشعراء (١/١٢١) ، (النقافة) .
٤ (ص ١٣٣ وما بعدها) .
٥ نزهة الجليس (٢/١٥٨ وما بعدها) .

وفي معلقة (طرفة) أبيات تشير الى وقوفه على سفن الفرات ودجلة والبحر، إذ يقول فيها[1] :

كأن حدوج المالكيـــة غدوة خلايا سفين بالنواصف من ددِ
عدولية أو من سفين ابن يامن يجورُ بها الملاح طوراً ويهتدي
يشق حَباب الماء حيزومها بها كما قسم التربَ المفائل باليـــد

ويقول فيها أيضاً[2] :

وأتلع نهـــاضٌ إذا صعدت به كسُكّان بوصي بدجلة مصعد

وزهير بن أبي سلمى ، من هـذا الرعيـل الـذي عدت إحدى قصائده من المعلقات . وكان على ما يقال راوية لأوس بن حجر زوج أمـه ، وكان أوس راوية للطفيل الغنوي ، وهو والد (كعب بن زهير) الشاعر الشهير الذي كساه الرسول بردة له،بعد أن كان قد أمر بقتله لما بلغه من هجائه له. فلما سمع (كعب) بذلك جاء الى المدينة فأسلم ، وطلب العفو ، وقال قصيدته الشهيرة بحضرة الرسول فعفى عنه وأعطاه البردة . أما والده (زهـير) ، فقد توفي قبل المبعث ، ولا صحة لما ذكره البعض من انه لقي الرسول[3] . وقد كان يكنى بـ (أبي بجير)[4] . وأتى (بجير) النبي وأسلم . وقد زعم انه رأى رؤيا في منامه ، ان سبباً تدلى من السماء الى الأرض وكان الناس يمسكونه ، فأوله بنبي آخر الزمان ، وان مدته لا تصل الى زمن بعثه ، وأوصى بنيه أن يؤمنوا به عند ظهوره . ثم توفي قبل المبعث بسنة[5] .

وهو (زهير بن أبي سلمى) ، واسم (أبي سُلمى) ربيعـــة بن رياح المزني ، من مزينة بن أد بن طابخة ، وكانت محلتهم في بلاد (غطفان) ، فظن الناس أنه من غطفان . وقد ذهب (ابن قتيبة) الى أنه من (غطفان) وردّ على

---

١ المعلقة ، البيت (٣ ـ ٥) .
٢ المعلقة ، البيت (٢٨) .
٣ الاغاني (٩/١٥٠) ، الاصابة (٣/٢٧٩) ، (رقم ٧٤١٣) ، الخزانة (١/٤٣٦ وما بعدها) .
٤ السيوطي ، شرح شواهد (١/١٣١) .
٥ الخزانة (٢/٣٢٥ وما بعدها) .

من زعم أنه من مزينة[1] . وهو أحد الشعراء الثلاثة الفحول ، المتقدمين على سائر الشعراء بالاتفاق ، وإنما الخلاف في تقديم أحدهم على الآخر ، وهم امرؤ القيس، وزهير ، والنابغة الذبياني[2] . ويقال إنه لم يتصل الشعر في ولد أحد من الفحول في الجاهلية مـا اتصل في ولد زهير[3] . وكان والد (زهير) شاعراً ، وأخته (سلمى) شاعرة ، وأخته (الخنساء) شاعرة ، وابناه كعب وبُجـير شاعرين ، وابن ابنه (المضرب بن كعب) شاعراً[4] . وكان خال (زهير بن أبي سلمى): (أسعد بن الغدير) شاعراً ، وقد عرف بأمه، وكان أخوه : (بشامة بن الغدير) شاعراً ، كثير الشعر[5] .

ويظهر من شعر ينسب اليه انه عاش أكثر من مائة سنة ، إذ نراه يتأفف من هذه الحياة ، ومن مشقاتها ، حتى سئم منها ، إذ يقول :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولاً ، لا أبالك يسأم

ويقول :

بدا لي إن الله حق فزادني الى الحق ، تقوى الله ما كان باديا
بدا لي اني عشت تسعين حجة تباعـاً وعشراً عشتها وثمانيا

أو :

ألم ترني عُمرت تسعين حجة وعشراً تباعاً عشتها ، وثمانيا[6]

ويظهر ان بيت بدا لي ان الله حق فزادني ، وما بعـده من الشعر المنحول عليه . ولم يرد في رواية أبي العلاء ، والأصمعي ، والمفضل الضبي ، والسكري[7].

---

١ الخزانة (٢/٣٣٢) ، (هارون) ، (والناس ينسبونه الى مزينة ، وانما نسبه في غطفان) ، الشعر والشعراء (١/٧٦) ، الاغاني (٩/١٤٦) .
٢ الخزانة (٢/٣٣٢ وما بعدها) .
٣ الشعر والشعراء (١/٧٦) .
٤ الخزانة (٢/٣٣٣).
٥ من نسب الى أمه من الشعراء ، نوادر المخطوطات ، (المجموعة الاولى) ، (ص ٩١) .
٦ رسالة الغفران (١٨٢ وما بعدها) .
٧ رسالة الغفران (١٨٣ رقم ١) .

وفي شعر زهير ، زهد ووعظ وتهذيب ، حملت بعض الباحثين على اعتباره نصرانياً ، ويشك (بروكلمن) فى ذلك ، إذ يرى ان أثر النصرانية وإن كان واسع الانتشار في جزيرة العرب في ذلك الوقت ، بيد انه لا توجد لدينا أدلة تحملنا على جعله نصرانياً[1] . وقد ذكر علماء الشعر ان (زهيراً) كان يتأله ويتعفف في شعره . ويدل شعره على ايمانه بالبعث وذلك قوله :

يؤخر فيودع في كتابٍ فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم[2]

ومن جيد شعره في تحديد اليمين قوله :

فإن الحق مقطعه ثلاثٌ يمين أو نِفار أو جلاء[3]

وقد ثمن شعره وقدره العلماء . قال (الثعالبي) فيه : « انه أجمع الشعراء للكثير من المعاني في القليل من الألفاظ »[4] . وفي معلقته أبيات في نهاية الحسن والجودة ، وقد جرت مجرى الأمثال الرائعة[5] .

وورد أن (عمر بن الخطاب) كان لا يقدم عليه أحداً . وذكر أن (عمر) قال لابن عبّاس : أنشدني لأشعر شعرائكم . قلت : من هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : زهير . قيل بِمَ كان ذلك ؟ قال : كان لا يعاظل بين الكلام ، ولا يتتبع حوشيه ، ولا يمدح الرجل بما لا يكون في الرجال . قال : فأنشدته حتى برق الصبح . وورد أن عمر كان جالساً « مع قوم يتذاكرون أشعار العرب إذ أقبل ابن عبّاس ، فقال عمر : قد جاءكم أعلم الناس بالشعر ، فلما جلس قال : يا ابن عبّاس ، من أشعر العرب ؟ قال : زهير بن أبي سلمى . قال فهل تنشد من قوله شيئاً نستدل به على ما قلت ، قال : نعم ، امتدح قوماً من غطفان يقال لهم بنو سنان فقال :

---

١ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١/٩٥) .
٢ الشعر والشعراء (١/٧٨) ، (الثقافة) .
٣ الشعر والشعراء (١/٧٩) ، (الثقافة) .
٤ خاص الخاص (٧٥) ، الاعجاز والايجاز (٣٧) .
٥ كارلو نالينو (٧٧) .

لو كان يقعد فوق الشمس من أحد قـــوم لأوّلهم يوماً إذا قعـــدوا
مُحَسَّدُون عـــلى ما كان من نعم لا ينزع الله عنهم مالَهُ حسدوا[1]

وورد في رواية أخرى ، ان (عمر) قال لابن عباس : « أنشدني لشاعر الشعراء ، الذي لم يعاظل بين القوافي ، ولم يتبع وحشي الكلام ، قال : من هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : زهير »[2] .

وكان زهير أستاذ الحطيئة . وسئل عنه (الحطيئة) فقال : ما رأيت مثله في تكفّيه على أكتاف القوافي ، وأخذه بأعنتها حيث شاء ، من اختلاف معانيها ، امتداحاً وذماً . قيل له : ثم مَنْ ؟ قال : مـا أدري ، إلا أن تراني مسلنطحاً واضعاً إحدى رجلي على الأخرى رافعاً عقيرتي أعوي في أثر القوافي .

« قال أبو عبيدة : يقول من فضّل زهيراً على جميع الشعراء : انه أمدح القوم وأشدهم أسرَ شعر . قال وسمعت أبا عمرو بن العـــلاء يقول : الفرزدق يشبّه بزهير . وكان الأصمعي يقول : زهير والحطيئة وأشباههما عبيد الشعر ، لأنهم نقحوه ولم يذهبوا به مذهب المطبوعين . قال : وكان زهير يسمي كُبُرَ قصائده الحوليات .

وكان جيد شعره في هرم بن سنان المريّ . وقال عمر رضي الله عنه لبعض ولد هرم : أنشدني بعض ما قال فيكم زهير ، فأنشده ، فقال : لقد كان يقول فيكم فيحسن ، فقال : يا أمير المؤمنين إنا كنا نعطيه فنجزل ! فقال عمر رضي الله عنه : ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم »[3] . وقد عيب على (زهير) لأخذه عطايا (هرم بن سنان) ، إذ عد أهل الأخبار ذلك نوعاً من التكسب بالشعر ، وهو مرذول عند العرب[4] .

وقد قدمه (الأخطل) كذلك ، وقال (ابن الأعرابي) : « كان لزهير في الشعر ما لم يكن لغيره ، كان أبوه شاعراً وهو شاعر وخاله شاعر وأختـــه

---

١ السيوطي ، شرح شواهد (١/١٣١ وما بعدها) ، الشعر والشعراء (١/٧٦) .
٢ الشعر والشعراء (١/٨١) ، (الثقافة) .
٣ الشعر والشعراء (١/٨١ وما بعدها) ، (الثقافة) .
٤ العمدة (١/٤٩) .

سلمى شاعرة ، وابناه كعب وبجير شاعران ، وأخته الخنساء شاعرة »[1] . « ومن قدّم زهيراً قال : كان أحسنهم شعراً ، وأبعدهم من سخف ، وأجمعهم لكثير من المعنى في قليل من المنطق ، وأشدهم مبالغة في المدح ، وأكثرهم أمثالاً في شعره »[2] . وقيل ان أمدح بيت قالته العرب ، هو بيت زهير :

تراه إذا مـــا جئته متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله[3]

ولزهير قصيدة أولها :

ألا ليت شعري هل يرى الناس ما أرى من الأمر أو يبدو لهم مـــا بدا ليا

يقال إنه قالها لما طلب (كسرى) النعمان بن المنذر ، ففرّ فأتى طيّاً ، فسألهم أن يدخلوه جبلهم ، فأبوا ، فلقيه بنو رواحة من عبس ، فقالوا له : أقم فينا ، فإنا نمنعك مما نمنع منه أنفسنا . فقـــال : لا طاقة لكم بكسرى ، وأثنى عليهم خيراً . وورد أن (الأصمعي) أنكر كون هذه القصيدة لزهير . ونسبهـــا بعضهم (لصرمة بن أبـي أنس الأنصاري) ، وهي لا تشبه كلام زهير[4] .

ولزهير شعر سبق به غيره ، فأخذه الشعراء منه وضمنوه شعرهم . وقد ذكر العلماء أمثلة على ذلك[5] . « ويروى أن لزهير سبع قصائد نظم كلاً منها في عام كامل ، ومن ثمّ سميت : الحوليات »[6] .

ومن أولاد زهير بن أبـي سلمى ، كعب وبجير . وكان (بجير) قـد أسلم قبل (كعب) . فبلغ ذلك كعباً ، فقال شعراً تعرض فيه بالرسول فهدر الرسول دمه ، فكتب (بجير) اليه شعراً يخوّفه فيه ويدعوه الى الاسلام ، فجاء وأسلم[7].

---

١ السيوطي ، شرح شواهد (١/١٣٣) .
٢ المصدر نفسه (١/١٣٢) .
٣ الشعر والشعراء (١/٧٧) .
٤ السيوطي ، شرح شواهد (١/٢٨٢ وما بعدها) ، ديوان زهير (٢٨٣ وما بعدها) ، الخزانة (٣/٥٨٨ وما بعدها) ، (بولاق) .
٥ الشعر والشعراء (١/٨٣ وما بعدها) ، (الثقافة) .
٦ الخصائص ، لابن جني (١/٣٣٠) ، بروكلمن (١/٩٥) .
٧ السيوطي ، شرح شواهد (٢/٥٢٤) ، العمدة (١/١٦٥) ، ابن هشام ، سـيرة (٣/٢٦) ، الروض الانف (٢/٣٠٥) .

و (لكعب) ولد يقال له (المضرب بن كعب) . كان شاعراً[1] ، واسمه : (عقبة بن كعب بن زهير بن أبي سلمى) ، لقّب بالمضرب ، لأنه شبب بامرأة من بني أسد ، فضرب ، فسمي المضرب . روى له الشريف (المرتضى) شعراً[2] .

وكانت لزهير بنت كانت شاعرة كذلك . ذكر ان بنت زهير دخلت على (عائشة) ، وعندها بنت (هرم بن سنان) ، فسألت بنت هرم : بنت زهير من أنت ؟ قالت : أنا بنت زهير . قالت : أوَما أعطى أبي أباك ما أغناكم ؟ قالت : إن أباك أعطى أبي ما في ، وإن أبي أعطى أباكِ ما بقي ، وأنشدت بنت زهير :

وإنك إن أعطيتني فمن الغنى حمدت الذي أعطيت من ثمن الشكر
وإن يفنَ ما تعطيه في اليوم أوغدٍ فإن الذي أعطيك يبقى على الدهر[3]

والشاعر (لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب) العامري ، ويكنى (أبا عقيل) ، هو من أشراف قومه في الجاهلية والإسلام ، وكان سخياً من أسرة معروفة . وكان في شبابه من فرسان زمانه ، وقد شارك قبيلته في غاراتها على أعدائها ، وذب عنها بسيفه وبقلمه . وهو من الشعراء المترفعين الذين ترفعوا عن مدح الناس لنيل جوائزهم وصلاتهم كما كان من الشعراء المتقدمين في الشعر[4].

وقد عرف والده بـ (ربيعة المقترين) ، أو (ربيع المقترين) ، لسخائه ، وقد ذكره (لبيد) ابنه في شعره بقوله :

ولا من ربيع المقترين رزئته بذي علق فاقني حياءك واصبري

وتحدث عن كرمه ، فقال :

وأبي الذي كان الأرا مل في الشتاء له قطينا[5]

---

١ الخزانة (٢/٣٣٣) ، المؤتلف (٢٨١) .
٢ أمالي المرتضى (١/٤٥٨) .
٣ السيوطي ، شرح شواهد (٢/٧٥٤ وما بعدها) .
٤ الخزانة (٢/٢٤٦) ، (هارون) ، (١/٣٣٧) ، (بولاق) .
٥ شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري (١٧) ، (شرح الدكتور احسان عباس) ، (الكويت ١٩٦٢) .

وقد قتل والده وهو صغير السن ، فتكفل أعمامه بتربيته . ويرى (بروكلمن) احتمال مجيء (لبيد) الى هذه الدنيا في حوالى سنة (٥٦٠ م) . أما وفاته،فكانت سنة أربعين ، وقيل احدى وأربعين ، لما دخل معاوية الكوفة إذْ صالح (الحسن ابن علي) ونزل (النخيلة) ، وقيل إنه مات بالكوفة أيام (الوليد بن عقبة) في خلافة عثمان ، وقد رجح (ابن عبد البر) هـذه الرواية ، وورد أنه توفي سنة نيف وستين[1] .

وقد عُرفت أم (ربيعة بن مالك) ، أي والد (لبيـد) بـ (أم البنين) ، وهي بنت (عمرو بن عامر بن صعصعة) ، وكانت تحت (مالك بن جعفر بن كلاب) ، فولدت له منه (عامر بن مالك) مُلاعب الأسنة ، و (طفيل بن مالك) فارس قُرزل ، وهو أبو (عامر بن الطفيل) ، و (ربيعة بن مالك) أبا لبيد ، وهو ربيع المقترين ، و (معاوية بن مالك) معوّد الحكماء (معوّد الحكماء) ، وإنما سمي (معوّد الحكماء) (معوّد الحكماء) بقوله :

أعوّد مثلهـا الحكماء بعدي إذا ما ألحق في الأشياعِ نابا[2]

وقيل انه لما مات دفن في صحراء (بني جعفر بن كلاب) رهطه ، وانه لما قدم الكوفة وأقام بها ، رجع بنوه الى البادية أعراباً[3] . وروي في خبر انـه مات بالكوفة أيام (الوليد بن عقبة) في خلافة (عثمان) ، فبعث (الوليد) الى منزله عشرين جزوراً فنحرت عنه . وقد رجح (ابن عبد البر) ، هـذه الرواية . وورد في رواية أخرى انه توفي في عهد (زياد) وفي خلافة معاوية[4] .

وقد ذكر من ترجم حياته انه كان فارساً شجاعاً سخياً،وقد جعله (ابن قتيبة)

---

١ الاستيعاب (٣/٣٠٧) ، (حاشية على الاصابة) ، الاصابة (٣/٣٠٧) ، (رقم ٧٥٤٣) ، السيوطي ، شرح شواهد (١/١٥٢ وما بعدها) .

٢ أمالي المرتضي (١/١٩٣) ،
أعود مثلها الحكماء بعدي اذا ما الحق في الحـدثان نابا
اللسان (١٤/٣٩٩) ، (سما) ، وورد « معوذ الحكماء » ، بالذال المعجمة ، تاج العروس (٢/٤٤٠) ، (عود) .

٣ المعارف (٣٣٢) .

٤ الاستيعاب (٣/٣٠٩) ، (هامش على الاصابة) ، الاصابة (٣/٣٠٨) ، (رقم ٧٥٤٣) .

في جملة المائة فارس الذين وجههم (الحارث بن أبي شمر) الغساني ، وهو (الأعرج) الى (المنذر بن ماء السماء) لقتله ، فلما صاروا الى معسكر (المنذر) ، أظهروا انهم أتوه داخلين في طاعته ، فلما تمكنوا منه قتلوه ، فقتل أكثرهم ، ونجا لبيد ، حتى أتى ملك غسان فأخبره الخبر . فحمل الغسانيون على عسكر (المنذر) فهزموهم ، وهو يوم (حليمة) . وقد ذكر (ابن قتيبة) في كتابه (الشعر والشعراء) ان (الحارث) كان قد أمَّر (الوليد) على المائة فارس[1] ، وذكر في كتابه (المعارف) ، انه كان غلاماً إذ ذاك[2] . وقد وقعت معركة (يوم حليمة) سنة (٥٥٤ م) ، فيجب أن يكون مولد (لبيد) قبل هذا العهد . ولو أخذنا برأي أهل الأخبار القائل انه عاش فوق المائة ، وانه كان يوم توفي ابن مائة وثلاثين سنة ، أو مائة وأربعين ، أو مائة وسبع وخمسين أو مائة وستين[3] ، جاز لنا تصور اشتراك (لبيد) في ذلك اليوم ، غلاماً أو شاباً . ولم يذكر (ابن قتيبة) كيف جاء (لبيد) الى (الحارث) ، وهو في هذا العمر ، ولمَ اشترك مع من اشترك في اغتيال المنذر . ولكننا نجد (الميداني) ، يسمي لبيداً الذي اشترك في اغتيال (المنذر) (لبيد بن عمرو)[4] ، أي شخصاً آخر ، وهي رواية أدعى الى القبول من رواية (ابن قتيبة) .

وتقول قصة يروبها أهل الأخبار عن سبب نظم لبيد لأرجوزته الشهيرة ، التي أولها :

يا رب هيجا هيَ خير من دعه إذْ لا تزال هامتي مقزعة

أن (لبيداً) كان غلاماً آنذاك ، وكان قد ذهب مع وفد (بني عامر) أبناء (أم البنين) ، وعليه (أبو البراء عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب) ، وقد وضعوه على رحالهم يحفظ أمتعتهم ، ويغدو بإبلهم فيرعاها . وكان (النعمان) قد ضرب قبّة على (أبي براء) وأجرى عليه وعلى من كان معه النُّزل ، وكان

---

١ الشعر والشعراء (١/١٩٤) ، (الثقافة) ، الخزانة (١/٣٣٧) ، (بولاق) .

٢ « فوجه اليهم مائة رجل ، فيهم « لبيد » الشاعر ، وهو غلام » ، المعارف (٦٤٢) .

٣ الاصابة (٣/٣٠٧) ، (رقم ٧٥٤٣) ، الاستيعاب (٣/٣٠٦ وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) .

٤ الميداني ، مجمع الامثال (٢/٢٩٥ وما بعدها) .

(الربيع بن زياد) العبسيّ ينادم النعمان ويتقدم على من سواه ، وكان يدعى (الكامل) ، وكان يعادي (بني جعفر) ، فأوغر صدر (النعمان) عليهم ، حتى صد عنهم ونزع القبة عن (أبي براء) . فلما وقف (لبيد) على خبرهم ، قال لهم : هل تقدرون أن تجمعوا بيني وبينه غداً حين يقعد الملك فأرجز به رجزاً ممضاً مؤلماً ، لا يلتفت اليه النعمان بعده أبداً ؟ قالوا وهل عندك ذلك ؟ قال : نعم ، قالوا : فإنا نبلوك بشتم هذه البقلة ، فقال فيها قولاً أعجبهم . فلما أصبحوا قالوا : أنت والله صاحبه ، فحلقوا له رأسه ، وتركوا له ذؤابتين ، وألبسوه حلة ، وغدوا به معهم ، فدخلوا على النعمان فوجدوه يتغدّى ومعه (الربيع) ليس معه غيره ، والدار والمجالس مملوءة بالوفد . فلما فرغ من الغداء أذن للجعفريين فدخلوا عليه ، والربيع الى جانبه ، فذكروا للنعمان حاجتهم ، فاعترض الربيع في كلامهم ، فقام لبيد : وقد دهن أحد شقي رأسه ، وأرخى ازاره ، وانتعل نعلاً واحدة ، على عادة الشعراء في الجاهلية إذا أرادت الهجاء ، ثم قال رجزه حتى إذا بلغ قوله :

مهلاً أبيت اللعن لا تأكل معه إن استه من برص ملمعه
وإنه يدخل فيها اصبعه يدخلها حتى يواري أشجعه
كأنه يطلب شيئاً ضيّعه

نفر (النعمان) من (الربيع) ورمقه شزراً ، وكره مجالسته لتأثير هذه الأبيات فيه ، وأعاد القبة على (أبي براء)[1] .

وقد أيد (ابن رشيق) رواية من ذكر ان (لبيداً) كان غلاماً يوم قال قصيدته المذكورة بقوله : « والربيع بن زياد ، كان من ندماء النعمان بن المنذر ، وكان فحاشاً عياباً بذياً سبّاباً لا يسلم منه أحد ممن يفد على النعمان ، فرمي بلبيد وهو غلام مراهق فنافسه »[2] . فجعل (لبيداً) غلاماً مراهقاً .

ويروي أهل الأخبار خبراً يؤيد الخبر المتقدم . يقول خبرهم : « نظر النابغة

---

١ الفاخر (ص ١٤١ وما بعدها) ، الاغاني (٢٢/١٦) ، نزهة الجليس (٥٠٧/٢ وما بعدها) ، أمالي المرتضى (١٨٩/١ وما بعدها) ، العمدة (٢٧/١) ، الخزانة (١١٧/٤) ، مجالس ثعلب (٤٤٩ وما بعدها) .
٢ العمدة (٥١/١) .

الى لبيد بن ربيعة وهو صبي مع أعمامه على باب النعمان بن المنـــذر ، فسأل عنه فنُسب له . فقال له : يا غلام ، إن عينيك لعينا شاعر ، أفتقرض من الشعـــر شيئاً ؟ قال : نعم يا عم ، قال : فأنشدني شيئاً ممـــا قلته ، فأنشده قوله : « ألم تربع على الدمن الخوالي » فقال له : يا غلام أنت أشعر بني عامر . زدني يا بنيّ ، فأنشده : طلل الحولة بالرسيس قديم . فضرب بيديه الى جبينه وقال : اذهب فأنت أشعر من قيس كلها : أو قال : هوازن كلها » . ويقال : انـه أنشده : عفت الديار محلها فمقامها ، فقال له : اذهب فأنت أشعر العرب[1] .

واذا أخذنا بالروايتين المذكورتين القائلتـين ان (لبيداً) كان صبياً أو غلاماً في أيام حكم الملك النعمان ، وجب علينا افتراض ان ميلاده لم يكن بعيداً عن سنة (٥٨٠) أو (٥٨١) أو (٥٨٢ م) ، السنة التي تولى فيها (النعمان) الملك ؛ ومعنى هذا انه لم يعمر طويلاً ، وهو خلاف ما يذكره أهل الأخبار ، وان كل ما يمكن أن نتصوره عن عمره ، انه كان في حوالى الثمانين حـين داهمته منيته . وقد جعل (بروكلمن) مولده حوالى السنة (٥٦٠ م) ، وجعل وفاته سنة (٤٠هـ) أي حوالى السنة (٦٦٠م) ، ومعنى هذا انه كان من أبناء المائة حين جاء أجله[2] .

وللبيد شعر في (النعمان بن المنذر) ، وصف فيه مجلسه . فذكـــر انه كان قاعداً كعتيق الطير يُغضي ويُجـل ، والهبانيق قيام ، بأيديهـــم الأباريق ، تحسر الديباج عن أذرعهم ، ينتظرون أمراً يصدره اليهم . وهو شعر مدون في ديوانه يعدّ من جيد شعره[3] .

وله قصيدة في رثاء (النعمان) ، تعرض فيها للموت ولزوال النعيم ، ولعدم دوام الدنيا لأحد ، ثم تحدث عن النعمان وعن أعماله وتجارته ختمها بقوله :

وأمسى كأحلام النيام نعيمهم وأي نعيم خلتـــه لا يزايل
ترد عليهم ليلـــة أهلكتهم وعـام وعام يتبع العام قابل[4]

---

١ الاغاني (٩٧/١٤) ، شرح ديوان لبيد (٢١) .
٢ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٤٥/١) .
٣ ديوان لبيد (١٩٥) ، الشعر والشعراء (٢٠٣/١) ، (الثقافة) .
٤ القصيدة رقم (٣٦) من الديوان ، شرح ديوان لبيـــد (ص ٢٦٦) ، الخزانـــة (٣٣٩/١ وما بعدها) ، (بولاق) .

وقد ذكر فيها (الله) بقوله :

أرى الناس لا يدرون ما قدرُ أمرهم بلى : كل ذي لب الى الله واسلُ
ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل
وكلّ أناس سوف تدخل بينهم دويهية تصفرّ منها الأنامل
وكلّ امرىء يوماً سيعلم سعيه إذا كُشّفت عند الإله المحاصل[1]

وهي قصيدة أزيد من خمسين بيتاً . وأولها :

ألا تسألان المرءَ ماذا يحاول أنحبٌ فيقضى أم ضلال وباطل[2]

وروي أن لبيدا أنشد النبي قوله :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

فقال له صدقت ؛ فقال : وكل نعيم لا محالة زائل

فقال له: كذبتَ، نعيم الآخرة لا يزول. وروي أن ذلك كان مع (أبي بكر)، وروي في خبر آخر أنه كان مع (عثمان بن مظعون)[3] .

وللبيد شعر يرثي به أخاه لأمه (أربد) ، وكان قد أصابته صاعقة فقتل . وكان (أربد) أكبر منه سناً . وأبوه (قيس بن جزء بن خالد بن جعفر) (أربد بن قيس بن مالك بن جعفر)[4] ، وكان يعطف على (لبيد) كثيراً وعلى ذوي رحمه ، فارساً كريماً ، فلما أصابته الصاعقة تألم (لبيد) مما ألم بأخيه كثيراً ، فرثاه برجز وبقصيد.وقد وجدت في النسخة العربية لتأريخ الأدب العربي لبروكلمن هذا النص : « ولما استقام السلطان للنبي بالمدينة ، سار لبيد يحمل رسالة اليه من عمه : أربد ، فأعجبه دينه »[5] . وهو وهم ، فأربد هو أخوه لا عمه . قال

---

١ القصيدة رقم (٣٦) ، البيت (٨) وما بعده .
٢ الخزانة (٢/٢٥٢) ، (هارون) .
٣ الخزانة (٢/٢٥٥ وما بعدها) .
٤ الطبري (٣/١٤٤) ، (وفد بني عامر بن صعصعة) ، الخزانة (٢/٢٥٠ وما بعدها) .
٥ بروكلمن (١/١٤٥) .

الطبري : « وكان أربد بن قيس أخا لبيد بن ربيعة لأمه »[1] . وكان من خبره انه قدم مع وفد (بني عامر بن صعصعة) على الرسول ، وفيه (عامر بن الطفيل) وثلاثون من رؤوس القوم وشياطينهم ، وفي رأس (عامر) الغدر بالرسول ، بأن يشاغله في الحديث ، فيعلو (أربد) النبي بالسيف ، فلم يتجاسر (أربد) على ضربه ، ورجع الوفد الى بلاده . فلما كان (عامر) ببعض الطريق أصيب بالطاعون فمات ، ومات (أربد) بعد ذلك بقليل بالصاعقة[2] .

وذكر أن (عامر) لما مات نصبت (بنو عامر) نصاباً ميلاً في ميل حمىً على قبره ، لا تنشر فيه راعية ولا يُرعى ولا يسلكه راكب ولا ماش ، وكان (جبار بن سلمى بن عامر بن مالك) غائباً ، فلما قدم قال : ما هذه الأنصاب؟ قالوا نصبناها حمى على قبر (عامر) ، فقال ضيقتم على أبي عليّ . إن أبا علي بان من الناس بثلاث . كان لا يعطش حتى يعطش الجمل ، وكان لا يضل حتى يضل النجم ، وكان لا يجبن حتى يجبن السيل[3] .

وفي اصابة (اربد) بالصاعقة يقول (لبيد) يبكيه :

ما ان تعرى المنون من أحد لا والد مشفق ولا ولد
أخشى على أربدَ الحتوف ولا ارهبُ نوء السِّماك والأسد
فجّعني الرعد والصواعق بالفارس يوم الكريهة النجد[4]

وهي قصيدة دوّن أبياتها (ابن هشام)[5] .

وله قصيدة أخرى في رثاء (اربد) مطلعها :

ألا ذهب المحافظ والمحامي ومانع ضيمها يوم الخصام

---

١ الطبري (٣/١٤٥) ، ابن هشام ، سيرة (٢/٣٧٢) .
٢ الطبري (٣/١٤٤ وما بعدها) ، وروى « ابن سعد » خبر وفد « عامر بن صعصعة » بشكل اخر ، ذكر أنه طلب من الرسول أن يجعل له ميزة على غيره ان أسلم ، أو أن يجعل الامر اليه من بعده ، فلما رفض الرسول ذلك ، قال : لأملأنها عليك خيلا ورجالا ، ابن سعد ، الطبقات (١/٣١٠) ، (وفد عامر بن صعصعة) ، سيرة ابن هشام (٢/٣٣٧) ، (حاشية على الروض الانف) ، (الروض الانف (٢/٣٣٧) .
٣ الخزانة (١/٤٧٤) ، (بولاق) .
٤ الشعر والشعراء (١٩٨) ، ابن هشام (٢/٣٣٨) ، (حاشية على الروض الانف)، تفسير الطبري (١٣/٨٤ وما بعدها) .
٥ سيرة (٢/٣٣٨) .

وقد رواها (ابن هشام)[1] . وقصائد أخرى عديدة[2] ، تدل على شدة تأثره بوفاة (اربد) .

وقد اختلفت الروايات في زمن إسلام (لبيد) . قيل إنه أسلم سنة وفد قومه (بنو جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة) فأسلم[3] . وقيل إن (لبيد بن ربيعة) و (علقمة بن علاثة) كانا من المؤلفة قلوبهم[4] . وقيل إنه وفد على الرسول بعد وفاة أخيه (أربد) فأسلم[5] .

وتجمع روايات أهل الأخبار وعلماء الشعر على إقبال (لبيد) على الاسلام من كل قلبه ، وعلى تمسكه بدينه تمسكاً شديداً ، ولا سيما حينما بدأ يشعر بتأثير وطأة الشيخوخة عليه وبقرب دنو أجله ، ويظهر ان شيخوخته قد أبعدته عن المساهمة في الأحداث السياسية التي وقعت في أيامه ، فابتعد عن السياسة وانزوى في بيته ، وابتعد عن الخوض في الأحداث ، ولهذا لا نجد في شعره شيئاً ، ولا فيما روي عنه من أخبار ، انه تحزب لأحد أو خاصم أحداً .

وروي ان (لبيداً) ترك الشعر في الاسلام وانصرف عنه . فلما كتب (عمر) الى عامله (المغيرة بن شعبة) على الكوفة يقول له : « استنشد من قِبلك من شعراء مصرك ما قالوا في الاسلام » ، أرسل الى (الأغلب) الراجز العجلي ، فقال له : انشدني ؟ فقال :

أرجزاً تريد أم قصيدا لقد طلبت هيناً موجودا

ثم أرسل الى لبيد ، فقال : « انشدني ما قلته في الاسلام » ، فكتب سورة البقرة في صحيفة ، ثم أتى بها وقال : « أبدلني الله هذا في الاسلام مكان الشعر» فكتب المغيرة بذلك الى عمر ، فنقص من عطاء (الأغلب) خمسمائة وجعلها في عطاء لبيد[6] . وروي ان (عمر) كتب الى عامله بالكوفة : سل لبيداً والأغلب

---

١ سيرة (٢/٣٣٨) .
٢ ابن هشام ، سيرة (٢/٣٣٨ وما بعدها) .
٣ الاستيعاب (٣/٣٠٦) ، (حاشية على الاصابة) .
٤ الاستيعاب (٣/٣٠٨) ، الخزانة (٢/٢٤٦) ، (هارون) .
٥ الاغاني (١٤/٩٠) .
٦ الاغاني (١٤/٩٧) ، زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية (١/١٢٠ وما بعدها) .

العجلي ما أحدثا من الشعر في الاسلام ؟ فقال لبيد : أبدلني الله بالشعر سورة البقرة وآل عمران . فزاد عمر في عطائه[1] .

وروي الخبر المتقدم بشكل آخر . روي أن (عمر بن الخطاب) قال للبيد : أنشدني ، فقرأ سورة البقرة ، وقال : ما كنت لأقول شعراً بعد اذ علمني الله سورتي البقرة وآل عمران . فزاد عمر في عطائه خمس مائة ، وكان ألفين . فلما كان في زمن (معاوية) قال له (معاوية) : هذان الفودان فما بال العلاوة ؟ وأراد أن يحطه إياها ، فقال أموت الآن وتبقى لك العلاوة والفودان ! فرق له، وترك عطاءه على حاله ، ومات بعد يسير[2] . وورد في رواية أخرى أن (معاوية) كتب الى (زياد) أن اجعل أعطيات الناس في ألفين ، وكان عطاء (لبيد) ألفين وخمسمائة . فقال له (زياد) : « أبا عقيل هذان الخراجان ، فما بال هذه العلاوة ؟ قال : ألحق الخراجين بالعلاوة ، فإنك لا تلبث إلا قليلاً حتى يصير لك الخراجان والعلاوة ! فأكملها (زياد) » ولم يكملها لغيره . فما أخذ لبيد عطاء آخر حتى مات[3] .

وقيل إن لبيداً لم يقل في الاسلام إلا بيتاً واحداً ، هو :

ما عاتب الحرّ الكريم كنفسه والمرءُ ينفعه القرين الصالح[4]

في رواية . وورد على هذه الصورة :

ما عاتب المرء الكريم كنفسه والمرءُ يصلحه الجليس الصالح[5]

في رواية أخرى .

وقيل هو هذا البيت :

الحمد لله إذ لم يأتني أجلي حتى كساني من الاسلام سربالا[6]

---

١ الاصابة (٣/٣٠٧) ، (رقم ٧٥٤٣) .
٢ الشعر والشعراء (١/١٩٥ وما بعدها) ، الاستيعاب (٣/٣٠٩) ، (حاشية على الاصابة) .
٣ الاصابة (٣/٣٠٨) ، (رقم ٧٥٤٣) .
٤ السيوطي ، شرح شواهد (١/١٥٥) ، الاصابة (٣/٣٠٧) ، (رقم ٧٥٤٣) .
٥ الشعر والشعراء (١/١٩٥) ، (الثقافة) .
٦ الشعر والشعراء (١/١٩٥) ، (الثقافة) .

وذكر بعض العلماء أن البيت :

الحمد لله إذْ لم يأتني أجـلي حتى اكتسيت من الإسلام سربالا

ليس للبيد ، بل هو لـ (قردة بن نفاثة)[1] .

ومن الشعر المستجاد المنسوب الى لبيد ، قصيدته :

إن تقوى ربّنا خير نفل وبإذن الله ريثي وعجل
أحمد الله فلا نـدّ له بيديه الخير من شاء فعل
من هداه سبل الخير اهتدى ناعم البالِ ومن شاء أضل

وقد زعم بعض العلماء أنها قيلت في الجاهلية ، ولكنها لا يمكن أن تكون من شعر الجاهلية ، لما فيها من آراء اسلامية ، ثم انها قيلت بعد موت (اربد) ، وكان لبيد مسلماً آنذاك على ما جاء في بعض الأخبار[2] .

ومما جاء فيها :

اعقلي إن كنتِ لمّـا تعقلي ولقد أفلح من كان عقَـل
إن ترى رأسي أمسى واضحاً سُلّط الشيب عليـه فاشتعل

وقوله :

غير أن لا تكذبنها في التقى واخزُها بالبر لله الأجـل

وهي قصيدة تبلغ عدتها (٨٥) بيتاً[3] ، بعض أبياتها لشعراء آخرين، وقد نسبها بعض العلماء اليه ، فأدخلت في القصيدة[4] .

---

١ الاصابة (٣/٣٠٧) ، (رقم ٧٥٤٣) ، الاستيعاب (٣/٣٠٧) ، (حاشيـة على الاصابة) .

٢ ديوان لبيد (١٧٤ وما بعدها) ، أمالي المرتضى (١/٢١) .

٣ الخزانة (٢/٢٨) ، (بولاق) .

٤ ديوان لبيد (١٩٩ وما بعدها) .

ومما جاء فيها في حق (أربد) قوله :

من حياة قد مللنا طولها وجديرٌ طول عيش أن يمل
وأرى اربد قد فارقني ومن الأرزاء رزءٌ ذو جلل[1]

وقد عاب بعض العلماء عليه قوله :

ومقامٍ ضيق فرجته بمقامي ولساني وجدل
لو يقوم الفيل أو فيّاله زال عن مثل مقامي وزحل

« وقالوا : ليس للفيال من الخطابة والبيان ، ولا من القوة ، ما يجعله مثلاً لنفسه ، وانما ذهب الى ان الفيل أقوى البهائم ، فظن ان فيّاله أقوى الناس ! قال أبو محمد ، وأنا أراه أراد بقوله : لو يقوم الفيل أو فيّاله مع فيّاله ، فأقام (أو) مقام الواو »[2] .

وفي هذه القصيدة إشارة الى صلاة اليهود ، حيث يقول :

يلمس الأحلاس في منزله بيديه كاليهودي المُصل[3]

« قال أبو الحسن الطوسي : كأنه يهودي يصلي في جانب يسجد على جبينه . قال البغدادي : واليهودي يسجد على شق وجهه »[4] .

وقد تعرض (كارلو نالينو) لهذه القصيدة ، فقال : « ومن المشهور ما في ديوانه من العبارات الدينية ، بل الشبيهة بالعقائد الاسلامية » ، ثم ذكر أبياتاً منها ، ثم قال : « ولكن ليس كل ما ينسب اليه في ديوانه من هذا الباب صحيحاً ، بل لا اختلاف في بعض الأشعار انها مصنوعة »[5] .

---

١ البيتان (٧٩ ـ ٨٠) .
٢ الشعر والشعراء (١/ ٢٠٠ وما بعدها) .
٣ البيت رقم (٣٢) من القصيدة (٢٦) في ديوانه (ص ١٨٣) .
٤ ديوان لبيد (١٨٣) .
٥ كارلو نالينو ، تأريخ الآداب العربية (٧٨) .

ونسب له قوله :

من يبسط الله عليه اصبعا بالخير والشر بأيّ أولعا
يملأ له منه ذنوباً مُترعا[1]

وقوله :

وما الناس إلا كالديار وأهلها بها يوم حلّوها ، وغدواً بلاقع

وقوله :

تمنّى ابنتاي أن يعيش أبوهما وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر

وفي هذه الأبيات إشارات الى رأي لبيد في الدنيا وفي الموت،وهي آراء يقولها في العادة المعمرون ، فإذا صح انها له ، فلا بد وأن تكون من شعره الذي قاله بعد تقدمه في السن .

ويظهر أن الكبر هـو الذي حمل (لبيداً) على ترك الشعر أو الاقلال منه ، فالتقدم في السن يوقف القريحة ويجمد الذهن . فلـما أرسل (الوليد بن عقبة) اليه شعراً ، ومعه مائة بكرة ، قال لبيد لابنته : اجيبيه فقـد رأيتني وما أعيـا بجواب شاعر[4] . وفي هذا الجواب دلالة على توقف قريحته عن قول الشعر ، وأنه لم يعد باستطاعته نظمه ، وليس السبب هو الإسلام :

وكانت مناسبة إرسال (الوليد بن عقبة) الشعر والهدية اليه ، أنه (لبيد) كان آلى في الجاهلية ألا تهب الصبا إلا أطعم الناس حتى تسكن ، وألزمـه نفسه في إسلامه . فهبت الصبا ، ولم يكن عند (لبيد) ما يعينه على الإطعـام ، فخطب (الوليد) الناس بالكوفة ، وقال : إنّ أخاكم لبيداً آلى ألا تهب لـه الصبا إلا أطعم الناس حتى تسكن ، وهذا اليوم من أيامه ، فأعينوه ، وأنا أول من أعانه.

---

١ أمالي المرتضي (١/٣١٩) .
٢ أمالي المرتضي (١/٤٥٣) .
٣ أمالي المرتضي (٢/٥٥) .
٤ الشعر والشعراء (١/١٩٦ وما بعدها) ، (الثقافة) .

ونزل فبعث اليه بمائة بكرة وكتب اليه شعراً يمدحه فيه ويذكر له كرمه ونذره[1]

ويشك (بروكلمن) في صحة ما ورد من ترك (لبيد) الشعر بعد دخو في الإسلام . ويرى أن كثيراً من شعره مطبوع بطابع إسلامي ، ويبعد أن يكو مما صنع عليه ، وإن زيد عليه بعض الزيادات[2] .

ونجد في قصيدة (لبيد) الكبرى التي مطلعها :

عفت الديار محلّها فمقامها بمنى تأبدَ غولها فرجامها[3]

أسماء مواضع كثيرة من نجد والحجاز[4] .

ولعلماء الشعر آراء في شعر لبيد ، من ذلك ما قالوه في قوله :

ما عاتبَ المرءَ الكريمَ كنفسه والمرءُ يصلحه الجليسُ الصالح

فقالوا : إنه شعر جيد المعنى والسبك ، لكن ألفاظه قصرت عن معناه . فإذ قليلُ الماء والرونق[5] .

وقد ذكروا له أشعاراً سبق بها غيره من الشعراء ، أخذها غيره عنه، فأعاده علماء الشعر الى أصلها . كما عابوا عليه بعض الأمور الصغيرة التي لا يمكن أن يفلت منها شاعر[6] .

و (عنترة بن شداد العبسي) ، هو (عنترة بن عمرو بن شداد بن قراد العبسي . وشداد جدّه أبو أبيه في رواية لابن الكلبي ، غلب على اسم أبيه فنسب اليه . وقال غيره : شداد عمه ، وكان عنترة نشأ في حجره فنسب اليه دون أبيه وكان يلقب بـ (عنترة الفلحاء) لتشقق شفتيه .

وانما ادعاه أبوه بعدَ الكبر ، وذلك انه كان لأمة سوداء يقال لها (زبيبة) .

---

١ الشعر والشعراء (١/١٩٦ وما بعدها) ، (الثقافة) ، الاغاني (١٥/٢٩٨) السيوطي ، شرح شواهد (١/١٥٥) .
٢ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١/١٤٥) .
٣ القصيدة رقم (٤٨) في الديوان ، شرح ديوان لبيد (ص ٢٩٧) .
٤ الاكليل (٢٢٣) .
٥ الشعر والشعراء (١/١٤) ، (الثقافة) .
٦ الشعر والشعراء (١/١٩٩ وما بعدها) ، (الثقافة) .

وكانت العرب في الجاهلية اذا كان للرجل منهم ولد من أمة استعبده ، وكان لعنترة اخوة من أمه عبيد . وكان سبب ادعاء أبي عنترة إياه ان بعض أحياء العرب أغاروا على قوم من (بني عبس) ، فأصابوا منهم ، فتبعهم العبسيون فلحقوهم فقاتلوهم عمّا معهم ، وعنترة فيهم ، فقال له أبوه : أو عمه في رواية أخرى : كرّ يا عنترة ! فقال عنترة : العبد لا يحسن الكر انما يحسن الحلابَ والصرّ . فقال : كر وأنت حر ، فكرّ وقاتل يومئذ حتى استنقذ ما بأيدي عدوّهم من الغنيمة ، فادعاه أبوه بعد ذلك ، وألحق به نسبه[1] .

وورد في رواية أن اخوته قالوا له : اذهب فارعَ الإبل والغنم واحلب وصر : فانطلق يرعى وباع منها ذوداً ، واشترى بثمنه سيفاً ورمحاً وترساً ودرعاً ومغفراً، ودفنها في الرمل . وكان له مهر يسقيه ألبان الإبل . وان في الجاهلية من غلب سبا . وأنه جاء ذات يوم الى الماء فلم يجد أحداً من الحي ، فبهت وتحير حتى هتف به هاتف : أدرك الحي في موضع كذا ، فعمد الى سلاحه فأخرجه والى مهره فأسرجه واتبع القوم الذين سبوا أهله فكرّ عليهم ففرق جمعهم وقتل منهم ثمانية نفر ، فقالوا : ما تريد ؟ فقال : أريد العجوز السوداء والشيخ الذي معها، يعني أمه وأباه ، فردّوهما عليه . فقال له عمه : يا بنيّ كرّ ، فقال : العبد لا يكر ، ولكن يحلب ويصر . فأعاد عليه القول ثلاثاً وهو يجيبه كذلك . قال له : إنك ابن أخي وقد زوّجتك ابنتي عبلة . فكرّ عليهم فأنقذه وابنته منهم . ثم قال : إنه لقبيح أن أرجع عنكم وجيراني في أيديكم : فأبوا،فكرّ عليهم حتى صرع منهم أربعين رجلاً قتلى وجرحى فردّوا عليه جيرانه . فأنشد :

هل غادر الشعراء من مـتردم أم هل عرفتَ الدار بعد توهم[2]

وروي انه كان من معاصري (امرىء القيس) ، وانه اجتمع به[3] ، وان امرأة (شداد) أبي (عنترة) ذكرت لشداد ان عنترة أرادها عن نفسها ، فأخذه أبوه فضربه ضرب التلف ، فقامت المرأة فألقت نفسها عليه لما رأت ما به

---

١ الشعر والشعراء (١/١٧١ وما بعدها) ، (الثقافة) ، السيوطي ، شرح شواهد (١/٤٨١ وما بعدها) .

٢ السيوطي ، شرح شواهد (١/٤٧٩ وما بعدها) .

٣ السيوطي ، شرح شواهد (١/٤٨٢) .

من الجراحات ، وبكته . وكان اسمها : (سميّة) ، فقال عنترة :

أمن سميّة دمع العين مذروف لو كان منك قبلَ اليوم معروف[1]

وذكر انه كان من أشد أهل زمانه وأجودهم بما ملكت يده ، وكان لا يقول من الشعر إلا البيتين والثلاثة ، حتى سابّه رجل من عبس ، فذكر سواد أمه واخوته ، وعيّره بذلك ، وبأنه لا يقول الشعر ، فاغتاظ منه وردّ عليه ، وهاجت قريحته فنظمت له قصيدة :

هل غادر الشعراء من متردم

وهي أجود شعره ، وكانوا يسمونها (المذهبة)[2] .

وله كأكثر الشعراء أبيات شعر ، استحسنها علماء الشعر ، وقالوا انه أجاد فيها وأحسن ، وما سبق اليه ولم ينازع فيه في بعض ذلك الشعر[3] .

وهو أحد أغربة العرب ، وهم ثلاثة : عنترة ، وأمه زبيبة ، سوداء ، وخفاف بن عمير الشريديّ ، من بني سُليم ، وأمه نَدْبة ، واليها ينسب ، وكانت سوداء ، والسليك بن عمير السعدي ، (السليك بن سلكة) ، وأمه سلكة ، واليها ينسب ، وكانت سوداء[4] . وذكر أنه كان يفخر بأخواله السود ، رهط أمه ، فدعاهم بـ (حام) حيث يقول :

إنّي لتعرف في الحروب مواطني في آل عبسٍ مشهدي وفعالي
منهم أبي حقاً فهم لي والدٌ والأم من حامٍ ، فهم أخوالي[5]

وإذا صح ان هذا الشعر هو لعنترة ، دلّ على وقوف الجاهليين على اسم (حام) ، الوارد في التوراة ، على أنه جدّ السودان . ولا بد أن تكون التسمية قد وردت الى الجاهليين عن طريق أهل الكتاب .

---

١ المحاسن والاضداد (١٤٣) .
٢ الشعر والشعراء (١/١٧٢ وما بعدها) ، الزوزني (١٣٦) ، السيوطي ، شرح شواهد (١/٤٨١) .
٣ الشعر والشعراء (١/١٧٤) ، (الثقافة) .
٤ الشعر والشعراء (١/١٧٢) ، (الثقافة) .
٥ الشعر والشعراء (١/١٧٥) .

وذكر أنه كان قد أغار على (بني نبهان) فرماه (وزر بن جابر بن سدوس ابن أصمع) النبهاني ، فقطع مطاه ، فتحامل بالرميّة حتى أتى أهله فمات[1] .

ويعد (عمرو بن كلثوم) التغلبي من كبار شعراء الجاهلية ، وكان معاصراً للملك (عمرو بن هند) (٥٥٤ – ٥٦٨ م) ، وهو قاتله في خبر سبق أن تحدثت عنه . وهو من الشعراء الذين مالوا الى الحِكَمْ في نظم الشعر[2] . وقد عرف بـ (أبي الأسود)[3] . ويقال إن أخاه (مرة بن كلثوم) التغلبي ، هو قاتل المنذر بن النعمان بن المنذر . وكان (عمرو بن كلثوم) سيد قومه، سادهم وهو ابن خمس عشرة ، ومات وله مائة وخمسون سنة[4] . وكان خطيباً حكيماً وشاعراً ، أوصى بنيه عند موته بوصية بليغة حسنة[5] ، ضبط نصها الرواة فيما بعد، وكأنهم كتبوها بخط يدهم .

وقصيدته الشهيرة التي هي إحدى السبع ، هي من جيد شعر العرب القديم ، ولشغف تغلب بها وكثرة روايتهم لها قال بعض الشعراء :

ألهى بني تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
يفاخرون بها مذ كان أولهم يا للرجال لفخرٍ غير مسؤوم[6]

وفي قتل (عمرو بن كلثوم) (عمرو بن هند) يقول أحد شعراء تغلب ، وهو (افنون بن صريم) التغلبي :

لعمرك ! ما عمرو بن هند وقد دعا لتخدم ليلى أمه بموفّق
فقام ابن كلثوم الى السيف مصلتاً وأمسك من ندمانه بالمخنّق[7]

ويذكر في سبب نظم (عمرو بن كلثوم) قصيدته الشهيرة ، أن قبيلة (تغلب)

---

١ أسماء المغتالين (المجموعة السادسة من نوادر المخطوطات) ، (ص ٢١٠ وما بعدها).
٢ بروكلمن (١/١٠٣) ، الاغاني (٩/١٧٥) ، الخزانة (١/٥٢) ، الشعر والشعراء (١/١٥٧ وما بعدها) ، المرزباني ، معجم (٦ وما بعدها) .
٣ السيوطي ، شرح شواهد (١/١٢١) ، الخزانة (١/٥١٧ وما بعدها) .
٤ الاغاني (٩/١٧٥ وما بعدها) ، المرزباني ، معجم (٧) .
٥ الاغاني (١١/٥٩) ، (بولاق) ، المرزباني ، معجم (٧) .
٦ الشعر والشعراء (١/١٥٩ وما بعدها) ، (لشعر غير مسؤوم) ، الخزانة (١/٥١٧ وما بعدها) ، الاغاني (١١/٥٤) ، (دار الكتب) ، الخزانة (١/٥١٩) ، (بولاق).
٧ المحبر (٢٠٤) ، الاغاني (٩/١٧٥ وما بعدها) ، (١١/٥٤) ، (دار الكتب) .

كانت من أشد الناس في الجاهلية ، وكانت بينهم وبين (بكر) حزازات وعداوة، ويقال : جـاء ناس من بني تغلب الى بكر بن وائـل يستسقونهم فطردتهم بكر للحقد الذي كان بينهم فرجعوا ، فمات سبعون رجلاً عطشاً . فاجتمعت (تغلب) لحرب (بكر) ، واستعدت لهم (بكر) حتى إذا التقوا ، خافوا أن تعود الحرب بينهم كما كانت ، فدعا بعضهم بعضاً الى الصلح ، فتحاكموا في ذلك الى (عمرو ابن هند) . فجاءت تغلب يقودها (عمرو بن كلثوم) وجاءت بكر ، ومعها (الحارث بن حلزة اليشكري)، فألقى قصيدته :

آذنتنـا ببينهـا أسمـاء رُبَّ ثاوٍ يُمَلّ منه الثواء

وتأثر (عمرو بن هند) بها ، فحكم لبكر ، وأنشد (عمرو) قصيدته :

ألا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينـا[1]

وفي جملة أبياتها :

ألا لا يَجهلَنْ أحدٌ علينـا فنجهل فوق جهل الجاهلينا[2]

ويذكر بعض الرواة أن (عمرو بن كلثوم) ارتجل قصيدته الشهيرة ارتجالاً، وأنها كانت تبلغ ألف بيت أو تزيد[3] . وان مـا وصل الينا منها هو بعضها . وتبلغ (٩٦) بيتاً في كتاب (شرح القصائد العشر) للتبريزي[4] . يظهر من دراستها وامعان النظر فيها أنها لم تنظم دفعة واحدة ، وإنها لم تكن بهذا الطول يوم ألقاها الشاعر ، بل زيدت فيما بعد حسب المناسبات ، لأن فيها أبياتاً تمس أموراً وقعت فيما بعد ، في ظروف متأخرة ..

ويروى ان (عمرو بن كلثوم) ، جاء سوق عكاظ ، فألقى معلقته هناك . وروي ان (معاوية بن أبـي سفيان) قال « ان قصيدة عمـرو بن كلثوم وقصيدة الحارث بن حلزة ، من مفاخر العرب ، وكانتا معلقتين بالكعبة دهراً »[5] .

---

١ التبريزي ، شرح القصائد العشر (٣٧٩ وما بعدها) .
٢ أمالي المرتضي (١/٥٧ ، ٣٢٧) ، (٢/١٤٧) .
٣ شعراء النصرانية (١٩٧ وما بعدها) .
٤ (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد ح ، (ص ٣٨٠ ـ ٣٨٢) .
٥ الخزانة (١/٥١٧ وما بعدها) ، (بولاق) .

ويلاحظ ان في معلقة (عمرو بن كلثوم) أبياتاً خرجت على رويّ القافية ، مثل قوله :

تركنا الخيل عاكفة عليه مقلدة أعنتها صفونا [1]

وقوله :

ندافع عنهم الأعداء قدماً ونحمل عنهم ما حمّلونا [2]

وقوله :

نحُزُّ رؤوسهم في غير برٍّ فما يدرون ماذا يتقونا [3]

وقوله :

إذا ما صَيَّ بالإسناف حيٌّ من الهولِ المشبه أن يكونا [4]

وقوله :

برأسٍ من بني جشم بن بكر ندق به السهولة والحزونا [5]

وقوله :

إذا عضَّ الثقاف بها اشمأزت وولتهم عَشَوزنةً زبونا [6]

وقوله :

علينا كلّ سابغة دلاص تَرى فوق النجادِ لها غضونا
إذا وضعت عن الأبطال يوماً رأيتَ لها جلود القومِ جُونا [7]

---

١ البيت رقم (٢٤) من المعلقة .
٢ البيت رقم (٣١) .
٣ البيت رقم (٣٦) .
٤ البيت رقم (٣٩) .
٥ البيت رقم (٤٥) .
٦ البيت رقم (٥٠) .
٧ البيتان رقم (٧٠ وما بعده) .

وقوله :

وأنـــا المانعون لما يلينـــا إذا ما البيض زايلت الجفونا[1]

ومواضع أخرى من هذا القبيل[2] . وكان من اللازم مسايرة القافيـــة التي هي (الأندرينا) .

ولعمرو أشعار ، فيها هجاء للنعمان بن المنذر . فقد ذكر أن النعمان توعـــد (عمرو بن كلثوم) ، فبلغه ذلك ، فدعا كاتباً من العرب ، فكتب اليه :

ألا أبلغ النعمان عَـني رِسالـــةً فدحـُكَ حولِيّاً وذَمُّك قارح
متى تلقني في تَغْلِبَ ابنة وائل وأشياعهـــا تَرْقى اليك المسالحُ

وهجاه في شعر آخر ، ذكر فيه أمه ، وعيَّره بهـــا ، وعيَّره في شعر آخر بأن خاله صائغ يصوغ القروط والشنوف بيثرب ، ورماه فيه باللؤم[3] .

وتنسب لعمرو أبيات نظمها في البذل والسخاء وفي اعطاء المال ، أولها :

لا تلومـــنّي فإني متلـــف كلّ ما تحوي يميني وشمالي
لست إن أطرفت مالاً فرحاً وإذا أتلفتـــه لست أبالي[4]

ولعمرو بن كلثوم ديوان صغير ، نشر في مجلة المشرق . وقد ترجمت معلقته الى الألمانية[5] . وفي معلقة (عمرو) أشعار مضطربة وتكرار ، وعدم تجانس في وحدة الموضوع . وقد يكون ذلك بسبب تلاعب الأيدي في القصيدة . واذا عثر على نصها القديم ، الذي زعم انه كان ألف بيت أو يزيد ، فإنها ستكون أطول قصيدة في تأريخ الشعر العربي نسبها علماء الشعر الى أحد من الجاهليين .

وذكر ان (عمرو بن كلثوم) ، أغار على (بني حنيفة) باليمامة ، فأسره

---

١ البيت رقم (٧٧) .
٢ الابيات (٨٠ ـ ٨٣) ، (٨٨) .
٣ الاغاني (١٧٥/٩ وما بعدها) ، (٥٨/١١) ، (دار الكتب) .
٤ المرزباني ، معجم (٧) .
٥ بروكلمن ، تأريخ الادب العربي (٥٧/١ ، ٦٧ وما بعدها ، ١٠٣) ، المشـــرق (١٩٢٢ م) ، (ص ٥٩١ وما بعدها) .

(يزيد بن عمرو الحنفي) ، ثم سقاه الخمر في قصر بـ (حجر) اليمامة ، حتى مات . وذكر ان (يزيد) أراد المثلة به ، بربطه بجمل ، ثم ضرب الجمل ، ليركض به ، فصاح : « يالَ ربيعة ! أمثلة »[1] .

وتذكر رواية ان نهاية (عمرو بن كلثوم) كانت انتحاراً بشرب الخمر ؛ وذلك ان الملوك كانت تبعث اليه بحبائه وهو في منزله من غير أن يفد اليها . فلما ساد ابنه (الأسود بن عمرو) بعث اليه بعض الملوك بحبائه كما بعث الى أبيه . فغضب (عمرو بن كلثوم) وقال : « ساواني بولي » ، فحلف لا يذوق دسماً حتى يموت . وجعل يشرب الخمر صرفاً على غير طعام . فلم يزل يشرب حتى مات[2] .

و (الحارث بن حلزة) اليشكري ، هو من (بني يشكر) ، من بكر بن وائل . وكان أبرص . وقد اشتهر بقصيدته التي هي احدى المعلقات ، كما اشتهر بمثلها (عمرو بن كلثوم) و (طرفة بن العبد) . يذكر أنه ارتجلها بين يدي (عمرو بن هند) ارتجالاً ، في شيء كان بين بكر وتغلب بعد الصلح ، وكان ينشده من وراء السجف ، للبرص الذي كان به . وكان من عادة الملك أن يسمع الأبرص من وراء سبعة ستور ، وينضح أثره بالماء إذا انصرف عنه . فلما سمعت أم (عمرو بن هند) قصيدته ، قالت : « تالله ما رأيت كاليوم قط رجلاً يقول مثل هذا القول يكلَّم من وراء سبعة ستور » ، فقال الملك : « ارفعوا ستراً وأدنوا الحارث » ، وكان كلما استحسن شيئاً منها أمر برفع ستر ، حتى رفعت الستور السبعة . واقعده الملك قريباً منه استحساناً لها وتقديراً له . وكان الحارث متوكئاً على عنزة فارتزت — كما يقول أهل الأخبار — في جسده وهو لا يشعر[3] . وقد زعم أنه قال قصيدته المشهورة وهو ابن مائة وخمس وثلاثين[4] .

والقصيدة من قصائد الفخر والتبجح بالمفاخر والمآثر ، وقد عرض فيها بقبيلة (تغلب) ، وعرض بـ (عمرو بن هند) كذلك . وقد ضرب به المثل بالفخر

---

١ الشعر والشعراء (٢٢٤ وما بعدها) .
٢ المحبر (٤٧٠ وما بعدها) .
٣ الشعر والشعراء (١٢٧/١) ، الخزانة (١٥٨/١) ، (بولاق) .
٤ الخزانة (١٥٨/١) ، (بولاق) ، (٥١٩/١) ، (بولاق) .

فقيل : « أفخر من الحارث بن حلزة »[1] . ويرى (نولدكه) ان سبب اختيار (حماد) الراوية لهذه القصيدة وضمها الى القصائد الأخرى المختارة ، هو ان حماداً كان مولى لقبيلة (بكر بن وائل) ، وكانت هـذه القبيلة في عداء مـع قبيلة (تغلب) ، ولما كان (حماد) قد اختار قصيدة (عمرو بن كلثوم) التغلبي لشهرتها ، لم يسع حماداً أن يعدل عن اختيارها ، ولكنه اضطر على اختيار قصيدة أخرى الى جانبها تشيد بمدح (بكر بن وائل) سادته ، فاختار قصيدة (الحارث ابن حلزة) الذي لم يبلغ في الشهرة شهرة الشعراء الآخرين[2] .

ويزعم أهل الأخبار انه ارتجلها ارتجالاً أمام الملك ، بينما يذكرون انه كان قد قال لقومه قبل ارتجاله لها أمام الملك : « اني قد قلت قصيدة ، فمن قام بها ظفر بحجته وفلج على خصمه فرواها ناساً منهم . فلما قاموا بين يديه لم يرضهم فحين علم انه لا يقوم بها أحد مقامه » ، احتملها وأنشدها أمام الملك[3] . وقد قالهـا لتكون حجة لقومه في نزاعهم السياسي مع قبيلة تغلب ، ودفاعاً عنهم أمام الملك[4] .

ويرى (بروكلمن) أن شعر (الحارث) أقل إصالة من شعر (عمرو بن كلثوم) . وهو قريب من شعر (زهير) في ميله الى مذهب التعليم والتهذيب[5] . وقـد قدم (أبو عبيدة) شعره وجعله أحد ثلاثة نفر اشتهروا بجودة قصائدهم ، إذ قال: « أجود الشعراء قصيدة واحدة جيدة طويلة ثلاثة نفر: عمرو بن كلثوم،والحارث ابن حلزة ، وطرفة بن العبد)[6] .

وللحارث بن حلزة شعر يذكر فيه (ابن مارية) ، وهـو (أبو حسان) (قيس بن شراحيل بن مرة بن همام) ، وكان ممن سعى في الصلح بين بكر وتغلب . وفي جملة ما قاله فيه :

والى ابن مارية الجواد وهل شروى أبي حسان في الأنس[7]

---

١ زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية (١/١٢٥) .
٢ بروكلمن ، تأريخ الادب العربي (١/٦٧ وما بعدها) .
٣ الخزانة (١/٥١٩) .
٤ كارلو نالينو (٧٥) .
٥ بروكلمن ، تأريخ الادب العربي (١/١٠٣) .
٦ الخزانة (١/١٥٨) ، (بولاق) .
٧ المفضليات (٥٤) .

وفي قصيدة (الحارث بن حلزة) أسماء مواضع من محالهم ومحال حـلالهم . وهي قصيدته التي تبدأ بـ :

آذنتنـا ببينها أسمـاء رب ثاوٍ يمل منه الثواء[2]

وللحارث بن حلزة ديوان صغير[2] وأشعار منثورة في كتب الأدب والأخبار[3].

و (الأعشى) (ميمون بن قيس بن جندل) من (سعد بن ضبيعة بن قيس ابن ثعلبة) ، ويكنى أبا بصير . وهو ممن عاش في الجاهلية وأدرك الاسلام . ذكر (ابن قتيبة) انه (كان أعمى)[4] . وهو وهم ، وانما عمـي في أواخر أيامه ، كما يفهم ذلك من شعره ، بعد أن لعب به الكبر ،وتحكمت به الشيخوخة ، وصار عاجزاً ، يقوده قائد ، يوجهـه أنى يشاء ، تسيره عصاه ، وهو يخاف العثار[5] . وقد وصف شيخوخته هذه وصفاً مؤلماً ، صادراً من قلب متفطر حزين يبكي أيامه الأولى ، أيام اللذة والمتعة ، أيام اللهو والخمرة والنساء ، أيام مضت، حلت محلها أيام سود ، لا يفرق فيها الأبيض من الأسود ولا الليل والنهار ، ثم هو وحده ، لا خمر ولا امرأة ولا لحم دسم ، عافته المرأة ، لذهاب ماله وشبابه ، وتركه الزنا على رغم منه ، ولم يعد يرى في هذه الأيام إلا الهم والحزن والألم .

وأم الأعشى بنت (عَلس) أخت المسيب بن علس من بني (جُماعة) ، ثم من بني (ضبيعة بن ربيعة بن نزار) ، ولد بقرية باليمامة يقال لها (منفوحة)، وفيها داره وبها قبره . ويقال إنه كان نصرانياً ، وهو أول من سأل بشعره[6] . ويسمى (صناجة العرب) . لأنه أول من ذكر الصنج في شعره فقال :

---

١ الصفة (٢٢٠) .

٢ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٠٣/١) ، مجلة المشرق (١٩٢٢ م) (ص ٥٩١ وما بعدها) .

٣ الاغاني (١٧١/٩ وما بعدها) ، المفضليات رقم (٢٥) ، (٦٢) ، (١٢٧) .

٤ الشعر والشعراء (١٧٨/١) ، (الثقافـة) ، الخزانة (٨٤/١ وما بعدها) ، الاغاني (١٠٨/٩) ، رسالة الغفران (١٥٩) .

٥ القصيدة رقم (١٢) و (٢٨) من ديوانه ، المرزباني ، معجم (٤٠١) ، طبقات ابن سلام (١٥) ، الاغاني (١٠٨/٩) ، المؤتلف (١٢) ، رسالة الغفران ١٥٩ .

٦ المرزباني ، معجم (٣٢٥) ، (فراج) .

ومستجيب لصوت الصنج تسمعه إذا ترجّع فيـــه القينة الفضُـل[1]

وذكر أنه إنما عرف بصناجة العرب لكثرة ما تغنت العرب بشعره ، أو لجودة شعره ، أو لأن العرب كانت تتغنى بشعره على صوت الصنج ، الى غـير ذلك من شروح وتفاسير[2] .

وقد نشأ (الأعشى) راوية لشعر خاله (المسيب بن علس) ، وهـــو من شعراء الجاهلية المقلين . ثم نبغ هو في الشعر ، فعلا اسمه على اسم خاله ، حتى حلق في سماء الشعر ، ولا سيما في وصف الخمر ، حيث حظي الخمر عنده بموقع ممتاز في شعره ، فأجاد في وصفه وفي أثره في النفس. وتفنن في وصف الخمر ،حتى سبق بوصفه هذا سائر شعراء الجاهلية ، ولم يلحق به في هـــذه الناحية من الشعر أحد . وقد عدّه بعض علماء الشعر رابع الشعراء الأربعة ، فهو يأتي بعد امرىء القيس ، وزهير بن أبـي سلمى ، والنابغة الذبياني[3] . وقد أجاد أيضاً في وصف القيان .

قيل : كان الأعشى يفد على ملوك فارس ، ولذلك كثرت الفارسية في شعره[4] ، وزُعم ان (كسرى) سمعه يوماً يُنشِدُ ، فقال : من هذا ؟ فقالوا : آمْروذ كويد تازى ، أي مغني العرب ، فأنشد :

أرقتُ وما هذا السهاد المؤرقُ وما بيَ من سقمٍ وما بيَ معشق

فقال كسرى : فسروا لنا ما قال ! فقالوا : ذكر انه سهر من غـير سقم ولا عشق !

فقال كسرى : إن كان سهر من غير سقم ولا عشق فهو لص !![5] الى غير ذلك من قصص مصنوع .

---

١ المرزباني ، معجم (٣٢٥) ، (فراج) ، الشعر والشعراء (١/١٧٩) ، (الثقافة) ، السيوطي ، شرح شواهد (٢٤٠) .
٢ المزهر (٢/٤٣١) ، الخزانة (١/٨٥) ، (بولاق) .
٣ رسالة الغفران (٢٢٩) ، (بنت الشاطىء) .
٤ الشعر والشعراء (١/١٧٩) ، (الثقافة) ، الخزانة (١/٨٥) .
٥ الشعر والشعراء (١/١٨٠) ، (الثقافة) .

وكان يفد أيضاً على ملوك الحيرة ، ويمدح الأسود بن المنذر ، أخا النعمان[1]. وقال له (النعمان بن المنذر) : لعلك تستعين على شعرك هذا؟ فقال له الأعشى: احبسني في بيت حتى أقول ، فحبسه في بيت ، فقال قصيدته التي أولها :

أأزمعتَ من آل ليلى ابتكارا وشطت على ذي هوى أن تزارا

وفيها يقول :

وقيدني الشعر في بيته كما قيد الآسرات الحمارا[2]

وورد في شعر الأعشى قوله :

وكنت امرأً زمناً بالعراق عفيف المُناخ طويل التغن[3]

وإذا كان ما نسب الى الأعشى من قوله :

لسنا كمن جعلت إيادٌ دارها تكريت تنظر حبّها أن يحصدا
جعل الإله طعامنا في مالنا رزقاً تضمنه لنا لن ينفدا
مثل الهضاب جزارة لسيوفنا فإذا تُراع فإنها لن تطردا
ضمنت لنا أعجازهن قُدورنا وضروعهن لنا الصريح الأجردا[4]

صحيحاً ، فإنه يشير الى أرض يقال لها (تكريت) . وقد ذكر بعض علماء اللغة أن (تكريت) بنواحي الموصل ، سميت بتكريت بنت وائل ، أخت (قاسط)[5]. ويظهر أن الساسانيين قد أبعدوا بعض بطون (إياد) الى هذه الديار ، فأجبروهم على الإقامة بها ، وأما النسب المذكور ، فقد وضع فيما بعد . ويظهر من هذا الشعر ان تلك البطون قد تعلمت الزراعة ، فزرعت الحب ، والزراعة مزدراة في نظر العرب ، ولهذا تبجّح الشاعر عليها وافتخر ، بكون قومه أصحاب إبل

---

١ الشعر والشعراء (١/١٨٠) ، (الثقافة) .
٢ الشعر والشعراء (١/١٨٠ وما بعدها) ، (الثقافة) .
٣ أمالي المرتضى (١/٣١ ، ٣٥) ، ديوانه (٢٢) .
٤ ديوان الاعشى رقم ٣٤ ، تاج العروس (١/٥٧٦) ، (كريت) .
٥ تاج العروس (١/٥٧٦) ، (كريت) .

ضخمة ، يعقرونها لمن ينزل بساحتهم من ضيوف ، أما إياد فهم أصحاب زراعة وحصاد .

وكان الأعشى ينادم (هوذة بن عـــلي) الحنفي ، صاحب اليمامة ، وكان نصرانياً على ما يقال . وذكر ان (الأعشى) كان نصرانياً كذلك ، وكان يزور (الحيرة) كما كان يزور أسقف (نجران) . وله راوية يروي شعره اسمه (يحيى ابن متى) من عبّاد الحيرة. وقد أشار في شعره الى أمور توراتية مثل حمامة نوح وأخبار سليمان . لا ندري اذا كان قد أخذها من التوراة ، أو انه سمعها من رجال الدين أو من قصص نصارى الحيرة[1] .

وله أشعار كثيرة في مدح (هوذة) (هوذة بن علي بن ثمامة) الحنفي ، منها قصيدته التي مطلعها :

أحيتك تيّا أم تركت بدائكا وكانت قتولاً للرجال كذلكا
وأقصرت عن ذكرى البطالة والصبا وكان سفيهاً ضلة من ضلالكا

الى أن قال :

الى هوذة الوهاب أهديت مدحتي أرجّي نوالاً فاضلاً من عطائكا
تجانف عن جوّ اليمامة ناقتي وما عمدت من أهلها لسوائكا

وهذه القصيدة تشبه أشعار المحدثين والمولدين في الرقة والانسجام[2] .

ومن شعره في مدح (هوذة) قوله :

له أكاليل بالياقوت زيّنهـــا صواغها لا ترى عيباً ولا طبعا

وقوله :

وكلُّ زوجٍ من الديباج يلبسها أبو قدامة محبوراً بذاك معا[3]

---

١ راجع قصائده ١٣ ، و ٣٤ ، و ٧٩ من ديوانه ، وبروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٤٧/١) ، الاغاني (٧٦/١٦) ، رسالة الغفران (١٧٤) .
٢ الخزانة (٦١/٢ وما بعدها) ، (بولاق) .
٣ أمالي المرتضى (١٧٢/٢) .

وكان يزور اليمن ، ويقف بأبواب أقيالها ، لينال منهم هداياهم . وفي خبر يرجع سنده الى (الأعشى) ، أنه قال : « أتيت سلامة ذا فايش (فائش) فأطلت المقامَ ببابه حتى وصلت اليه ، فأنشدته :

إن محلاً وإن مرتحلا ... وإن في شعر من مضى مثلا
استأثر الله بالوفاء وبالـ ... ـعدل وولى الملامة الرجلا
الشعر قلدته سلامة ذا ... فائش والشيء حيث ما جُعلا

قال : صدقت ، الشيء حيث ما جعل ، وأمر لي بمائة من الإبل وكساني حللاً وأعطاني كِرشاً مدبوغة مملوءة عنبراً، فبعتها في الحيرة بثلاثمائة ناقة حمراء[1]. والشعر المذكور هو من قصيدة رقمت برقم (٣٥) في ديوانه وتقع في (٢٤) بيتاً ، وفي ترتيب بعض أبياتها اختلاف . وقد شكك (ابن قتيبة) في صحة نسبتها الى الأعشى ، كما شك غيره في صحة نسبتها اليه ، لأسباب ذكروها[2] . وقد نسبها (الهمداني) الى الأعشى[3] .

ونسب (الهمداني) الى الأعشى قصيدة أخرى في مدح (سلامة) أولها :

رأيت سلامة ذا فائش ... إذا زاره الضيف حيّا وبش[4]
وقال لهم مرحباً مرحباً ... وأهلاً وسهلاً بهم وابتهش

وتنسب الى الأعشى قصيدة أخرى في مدح (سلامة ذا فائش) ، وهو : (سلامة ذو فائش) ابن يزيد بن مرة بن عريب بن مرثد بن حُرَيم الحميري[5]، وقد ذكر (الهمداني) أن (ذا فائش) هذا ، هو (ذو فائش الأصغر) ، واسمه (سلامة بن يهبر) القيل . وأورد أبياتاً في مدحه أولها :

---

١ السيوطي ، شرح شواهد (١/٢٣٩) ، الاغاني (٩/١٢٤) ، ديوان الاعشى الكبير (ص ٦٨ ، رقم القصيدة ٨) ، (شرح وتحقيق الدكتور محمد حسين) ، رسالة الغفران (١٧٥) .
٢ ديوان الاعشى الكبير (٢٣٢) ، الاغاني (٨/٨٥) ، الامالي (٢/٩٩) .
٣ الاكليل (٢/١٩٨) .
٤ الاكليل (٢/١٩٥) .
٥ هي القصيدة التي رقمت برقم (٨) في ديوانه ، (ص ٦٨ وما بعدها) ، ديوان الاعشى (١٩) ، (أوربا) ، رسالة الغفران (٢١٨) .

تـؤم سلامـة ذا فائش هو اليوم حمٌّ لميعادهـا
وكم دون بيتك من صفصف ودكداك رمل وأعقادهـا

وهي أبيات من القصيدة المرقمة برقم (٨) في ديوان الأعشى ، وتقع في (٥٦) بيتاً .

ودوّن (الهمداني) أبيات شعر زعم أنها في مدح (ذي فائش) ، الـذي هو (سلامة بن يهبر) القيـل ، ذكر أن (ابراهيم بن المحابي) ، أنشدها إياه ، أولها :

وذو فائش قد زرته في ممنع من النيق فيه للوعول موارد[1]

وذكر (الهمداني) أبياتاً من الشعر في مدح (زرعة بن عمرو) (زرع بن عمرو) . وكان (زرعة بن عمرو) يتولى وآباؤه للتبابع أعمال (المعافر) و (مأرب) وحضرموت ، وكان قد حارب (مذحجاً) ، وفيه يقول (الأعشى) وقد وفد على بعض أولاده ومدحهم ، قصيدة أولها :

تسنّم في العلا زرع بن عمرو وشيّد مـا بنى عمرو وزادا[2]

ودوّن (الهمداني) أبيـات شعر في مدح (حجر بن زرعة) ذكر أنهـا للأعشى ، وقال إنه كثيراً ما يفد الى المعافر ، ثم قال : وقيل إنها للمسيب بن علس . وأولها :

حللتُ على حجر بن زرعـة بعدما برى الجسم مني مشفقات العواذل[3]

ونسب (الهمداني) أبيات شعر في مدح (فهد بن النعـمان) ، وكان قيلاً بالمعافر . وقد وفد عليه . وأول هذه الأبيات :

ونادمت فهداً بالمعافر حقبة وفهد سماح لم تشبه المواعد[4]

---

١ الاكليل (٢/١٩٥) .
٢ الاكليل (٢/١١٥) .
٣ الاكليل (٥/١١٧) .
٤ الاكليل (٢/٣٦٣) .

ونسب الرواة الى (الأعشى) قصيدة في مدح (مسروق بن وائل) الحضرمي . وهو ممن وفد الى (النبي) في وفد حضرموت فأكرمـــه[1] . وهي قصيدة رقمت برقم (٧٠) في ديوانه[2] .

وفي (يزيد بن صهر بن أبي ثابت) الشيباني ، من سادة بني شيبان وذوي الرأي فيهم ، يقول الأعشى :

ودع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعاً أيها الرجل ؟

وهي لاميته الشهيرة التي تعدّ من المعلقات[3] . ومما جاء فيها في وصف مجلس الشرب والخمر :

نازَعْتُهُمْ قضب الريحان مرتفقا وقهوة مـــزة راووقها خضل
لا يستفيقون منها إلا وهي راهنة إلا بهات ، وإن علّوا وإن نهلوا
يسعى بها ذو زجاجات لها نطف مقلص أسفل السربال ، مُعْتمل
ومستجيب لصوت الصنج يسمعه إذا ترجع فيه القينة الفُضُل[4]

وكان يبغي من أسفاره هذه جمع المال للاستمتاع بلذة الحيـاة ، ولذة الحياة عنده : الخمر والطعام والنساء ، وقد جمعها بقوله :

إن الأحامرة الثلاثة أهلكت ما لي وكنتُ بهن قدماً مُولعا
الخمر واللحم السمين مع الطلى بالزعفران ولا أزال مُردّعا[5]

وهو من الشعراء الذين تعهروا في شعرهم ، على شاكلة (امرىء القيس) . وقد أبدع في وصف صاحبته (قُتيلة) . وهو لا يخشى من التصريح بأنه انما يحب النساء ، لأجل الاستمتاع بهن . فليست المرأة إلا أداة اللذة في هذه الحياة. فهو يبحث عنها ، ولا يبالي من أي نوع كانت ، جارية أم حرة ، عاهرة أم

---

١ الاصابة (٣/٣٨٨) ، (رقم ٧٩٣٥) .
٢ شرح ديوان الاعشى (٣٢٨ وما بعدها) ، الاكليل (٢/٣٧٦) .
٣ طبقات ابن سلام (٢٣) ، الاغاني (٨/١٠٠) ، رسالة الغفـــران (١٧٤) ، (حاشية) .
٤ رسالة الغفران (١٧١ وما بعدها) ، تهذيب الالفاظ ، لابن السكيت (٢٢٧) .
٥ ديوان الاعشى (ص) ، (دكتور م. محمد حسين) .

متزوجة،وهو على شاكلة (امرىء القيس) يطيب له أن يصور صاحبته متزوجة، تخون زوجها ، وتقدم له الحب واللذة ، لأن في الاتصال بالمتزوجة مجازفة من الرجل ومن المرأة ، والمجازفة من سيماء العشاق الفرسان الشجعان .

وقد تمكن الأعشى باتصاله بملوك الحيرة والغساسنة ، وبقيس بن معديكرب ، وسلامة ذي فائش ، وبسادة نجران ، وبهوذة ، وبأمثالهم من حكام وسادة — من الحصول على مال طيب،ومن التمتع بمشاهدة مجالس أولئك السادة ، ومن الشرب بصحاف الذهب والفضة ، ومن أكل أكلات الحضر ، التي لا يعرفها إلا أصحاب المال والترف ، ومن الاستمتاع بسماع الغناء العربي والأعجمي ، ومن التأثر بالحياة الرفيعة التي يحياها أهل الحضر . فأثرت تلك الحياة فيه ، وصار يقبل عليها ويبحث عنها في كل مكان . وما الحياة تلك إلا اللهو بالخمر والنساء والطعام الطيب ، حتى كان يتلف ماله في سبيلها ، إن عسر الحصول عليها بغير ثمن .

وهو في شعره صريح يعلن فيه حبّه لجمع المال ، لا يخشى من التصريح به أحداً ، ولعلّه كان يريد الإعلان عن ذلك ، ليرزقه الناس مما عندهم ، ويزيدوا في ماله . نراه يقول :

وطوّفت للمال آفاقها ... عمان وحمص فأوريشلَمْ
أتيت النجاشي في داره ... وأرض النبيط وأرض العجم
فنجران فالسرو من حمير ... فأي مرام له لم أرم
ومن بعد ذاك الى حضرموت ... فأوفيت همّي وحيناً أهم[1]

ثم هو يعدد المواضع التي زارها فيقول :

ألم ترني جولتُ ما بين مأربٍ ... الى عدن فالشأم والشأم عائد
وذا فائش قد زرت في متمنّع ... من النيق فيه للوعول موارد
ببعدان أو ريمان أو رأس سَلْيَةٍ ... شفاء لمن يشكو السمائم بارد
وبالقصر من أرياب لوْ بتّ ليلة ... لجاءك مثلوج من الماء جامد
ونادمتُ فهداً بالمعافر حقبة ... وفهد سماحٌ لم تشبه المواعد

---

١ الصفة (٢٢٤) ، ديوان الاعشى القصيدة رقم (٤) ، والقصيدة رقم ٦٣ .

وقيساً بأعلى حضرموت انتجعتــه فنعم أبو الأضياف والليل راكد[1]

ويظهر من الشعر المتقدم انه طاف بلاداً كثيرة ، فيها أرض العجم ، وأرض النبط ، وبلغ حمص و (أورشليم) ، أي القدس ، وعمان ، وزار جزيرة العرب حتى وصل حضرموت واليمن ، وعبر الى (النجاشي) في داره . وهي أسفار بعيدة متعبة بالنسبة لذلك الوقت ، وربما كان هذا الشعر مما أقحم عليه .

وله أشعار كثيرة في مدح (قيس بن معديكرب)[2] ، الذي كان يرزقه ويغدق عليه المال ، وهو لا يجد غضاضة من التصريح في مدحه له أن لا يحرمه من نداه الجزيل . ولهذا عدّه علماء الشعر أول من سأل بشعره ، وابتذل نفسه في السؤال ، وأسرف في الترحال من أجل جمع المال . ومن شعره في (قيس) وفي الاستجداء منه ، قوله :

ونبئت قيساً ولم أبله كما زعموا خير أهل اليمن
فجئتك مرتادَ ما خبّروا ولولا الذي خبروا لم تَرَن
فلا تحرمني نداك الجزيل فإني امرؤ قبلكم لم أهن

وهي قصيدة نونية ، موجودة في ديوانه[3] .

وللأعشى قصيدة في مدح (أبي الأشعث بن قيس) الكنــدي . والأشعث اسمه (معديكرب) كان أبداً أشعث الرأس فسمي الأشعث ، وهو من الصحابة ، وفد على النبي سنة عشر وأسلم ، وكان شريفاً مطاعاً جواداً شجاعاً ، وهو أول من مشت الرجال في خدمته وهو راكب ، وكان من أصحاب (علي) في وقعة صفين . ومن شعر الأعشى في مدح (أبي الأشعث) ، وهو (قيس بن معديكرب) قوله :

---

١ الصفة (١٠٠ ، ٢٢٥) ، الاكليل (٢/١٠٢) .
٢ تاريخ ملوك العرب الاولية (١٢٤) .
٣ ديوان الاعشى (١٥) ، (أوربا) ، شرح ديوان الاعشى (ش) ، رسالة الغفــران (٢١٨) ، وله قصيدة مطلعها :
أأزمعت من آل ليــلى ابتــكارا وشطت على ذي هــوى أن يزارا
في مدحه أيضا ، راجع ديوانه (ص ٣٥) ، (أوربا) ، رسالة الغفران (٢٢٧) .

من ديار هضْب كهضب القليب فاض ماء الشؤون فيض الغروب
أخلفتني بهـا فتيلة ميعـا دي وكان للوعد غير كذوب[1]

وكان الأعشى ، إذا زار اليمن تخرف بـ (أثافت) ، وكان له بها معصر للخمر يعصر فيه ما أجزل له أهل (أثافت) من أعنابهم . وقد ذكرها (الأعشى) في شعره ، إذ قال :

أحبُّ أثافيتَ وقت القطاف ووقت عُصـارة أعنابهـا

وكانت تسمى (درني) في الجاهلية . وإياها التي ذكرها الأعشى بقوله :

أقول للشرب في درني وقد ثملوا شيموا وكيف يشيم الشارب الثمل[2]

وذكر غير (الهمداني) أن (درني) المذكورة في شعر الأعشى ، هي ناحية من شق اليمامة . قال الأعشى :

حلّ أهلي ما بين درني فبادو لي وحلّت علويـة بالسخال

فهي ليست بـ (أثافت) ، كما ذكر ذلك (الهمداني)[3] . ونجد الهمداني يذكر (درنا) في مواضع اليمامة . ولمـا كان (الهمداني) من العلماء بمواضع جزيرة العرب ، فلا أعتقد أنه وهم حين ذكر قول (الرئيس الكبـاري) ، أن (درني) هي (أثافت) ، فلعل (درني) غير (درنا) اليمامة[4] .

وقـد هجـا (الأعشى) (علقمة بن علاثة) من سادات (بني عامر) وأشرافهم . وكان سبب ذلك ، انه مدح (الأسود) العنسي ، فأعطاه خمسمائة

---

١ الخزانة (٢/٤٦٣ وما بعدها) ، (بولاق) .
٢ ديوان الاعشى (ف) ، (دكتور م. محمد حسين) ، (واثافت وتسمى أثافه بالهـاء وبالتاء أكثر ، وخبرني الرئيس الكباري من أهل أثافت قـال : كانـت تسمى في الجاهلية درني واياها التي ذكرها الاعشى بقوله :
أقول للشـرب في درني وقد ثمـلوا شيموا وكيف يشيم الشارب الثمل) ، الصفة ، للهمداني (٦٦) .
٣ تاج العروس (٩/١٩٨) ، (درن) .
٤ الصفة (١٣٧) .

مثقال ذهباً وخمسمائة حللاً وعنبراً ، فخرج ، فلما مر ببلاد (بني عامر) ، وهم قوم (علقمة) و (عامر بن الطفيل) ، خافهم على ما معه ، فأتى (علقمة ابن علاثة) ، فقال له : أجرني ! قال قد أجرتك من الجـــن والأنس . قال الأعشى ومن الموت . قال : لا . فأتى (عامر بن الطفيـــل) ، فقال له : أجرني ! قال : قد أجرتك من الجن والأنس . قال الأعشى : ومن الموت ! قال عامر : ومن الموت أيضاً . قـال : وكيف تجيرني من الموت ؟ قال : إن مت في جواري بعثت الى أهلك الديـة . قال : الآن علمت انك قد أجرتني . فحرضه عامر على تنفيره على علقمة ، فغلّبه عليه بقصائد . فلما سمع علقمة نذر ليقتلنه إن ظفر به . فقال الأعشى قصيدة مطلعها :

شاقك من قيلة أطلالها بالشط فالجزع الى حاجر

ولما نذر (علقمة) دم الأعشى جعل له على كل طريق رصداً . فاتفق ان الأعشى خرج يريد وجهاً ومعه دليل فأخطأ به الطريق ، فألقاه على ديار بني عامر ابن صعصعة ، فأخذه رهط (علقمة) فأتوه به . فقال له علقمة : الحمدلله الذي مكنني منك ، فقال الأعشى :

أعلقم قد صيرتني الأمورُ اليكَ ، وما أنت لي مُنقصُ
فهبلي ذنوبي فدتك النفوس ولا زلت تنمي ولا تنقصُ

في أبيات ، فعفا عنه ، فقال الأعشى ينقض ما قال أولاً :

علقم يا خير بني عامر للضيف والصاحب والزائـــر
والضاحك السن على همهِ والغافـــر العثرة للعاثـــرِ[1]

وكان (عامر بن الطفيل) لما نافر (علقمة) خرج مع لبيد الشاعر والأعشى ، فحكّما (أبا سفيان) ، فأبى أن يحكم بينهما، فأتيا (عيينة بن حصن) فأبى، فأتيا (غيلان بن سلمة) الثقفي ، فردّهما الى (حرملة بن الأشعر) المرّي ، فردهما الى (هرم بن قطبة) الفزاري ، فحكم بتساويهما في الشرف والمنزلـــة ،

---

١ الشعر والشعراء (١/١٨٢) ، (الثقافة) ، الخزانة (٢/٤٣ وما بعدها) .

ولم يفضل فانصرفا على ذلك[1] .

ويقال إن النبي قال لحسّان : يا حسان أنشدنا من شعر الجاهلية مـا عفا الله لنا فيه ؟ فأنشده حسان قصيدة الأعشى في علقمة بن علاثة :

علقم ما أنت الى عامر الناقض الأوتار والـواتر

فنهى النبي حسان من تلاوتها . وذكر أن النبي رخص في الأشعار كلهـا إلا هاتين الكلمتين : كلمة أمية بن أبي الصلت في أهل بدر ، وكلمة الأعشى في علقمة بن علاثة[2] .

وقد اختلفت الروايات في (علقمة) ، فرواية تذكر أنه أسلم وصحب الرسول، ورواية تذكر أنه لم يسلم،وأنه كان عند (قيصر) ، وأنه أثنى أمامه على الرسول حين كان عنده ، بينما تناول أبو سفيان منه ، ورواية تذكر أنه أسلم ثم ارتـد ولحق بالشام ، ثم عـاد الى الإسلام ، ورواية تذكر أن (عمر) استعمله على (حوران) ، فمات بها . وقد رثاه (الحطيئة) بقصيدة ، وكان قد ذهب اليـه لنيل نواه ، فوجده قد مات ، وقـد أوصى له بجائزة في حياته ، فأعطاه ابنه مائة ناقة يتبعها أولادها[3] .

ولما كان الأعشى تاجراً من تجار الشعر ، اتخذ الشعر متجراً يتاجر به، فيمدح من يعطيه ، ويهجو من لا يحسن اليه ويصله ، لذلك صار شعره في الرجال الذين اتصل بهم ، بين مدح وبين هجاء .

وقـد أفادنا (الأعشى) فائدة كبيرة في ذكره أسماء المواضع التي مر بها في شعره . وقد اقتبس (الهمداني) بعض شعـره المتعلق بهذا الموضوع . كما أورد شعراً لغيره يتعلق بالمواضع ، انفرد به في بعض الأحيان . ومما ذكـره من شعر الأعشى في بعض مواضع اليمامة ، قوله :

قالوا : نُمارٌ فبطن الخال جادهما فالعسجديـة فالأبلاء فالرجل

---

١ الاصابة (٢/٤٩٦ وما بعدها) ، (٥٦٧٦) .

٢ الخزانة (٢/٤٣) ، (بولاق) ، الاصابة (٢/٤٩٦) ، (رقم ٥٦٧٧) .

٣ الاصابة (٢/٤٩٧ وما بعدها) ، (رقم ٥٦٧٧) .

فالسَّفج يجري فخنزير فَبُرْقته حتى تتابع فيه الوتر والحُبُل[1]

ونجد في شعر الأعشى قصصاً من قصص أهل الجاهلية ، من ذلك ما رواه عن سد (مأرب) في قصيدته التي يقول فيها :

ففي ذلك للمؤتسي أسوة ومأرب قفّى عليها العرِمْ
رخام بنته لهم حمير إذا جاءه ماؤهم لم يرم
فأروى الزروع وأعنابها على سعة ماؤُهم لم يرم[2]

وهي أبيات نظمت على طريقة ذلك الوقت في ذكر نكبات الماضي ، وما حل بالقبائل والمدن والقرى من مصير سيىء ، لاتخاذها درساً وعبرة للأحياء . وهي لذلك تكون ذات صبغة أدبية أخلاقية ، لا يهتم فيها للتأريخ ولواقع الأحداث ، وانما للقص وللتأثير في العواطف والقلوب .

ومنها قصيدته التي ذكر فيها من أهلكه الدهر من الجبابرة ومطلعها :

ألم تروا إرماً وعادا أفناهم الليل والنهار
وقبلهم غالت المنايا طسماً فلم يُنجها الحذار
وحلّ بالحيّ من جديس يوم من الشرّ مستطار
وأهل جوّ أتت عليهم فأفسدت عيشهم فباروا
فصبّحتهم من الدواهي نائحة عقبها الدمار

وقد روى أهل الأخبار قصص هؤلاء الأقوام الذين ذكرهم الأعشى في شعره، وقد رصنعوها على عادتهم بالشعر ، نسبوه الى أبطال ذلك القصص[3] .

وأشار (أبو العلاء) المعري الى شعر نسب للأعشى أوله :

أمِن قَتْلَةَ بالأنقاء دار غير محلوله
كأن لم تصحب الحيّ بها بيضاء عطبوله

---

١ الصفة (١٣٧) .
٢ ديوان الاعشى البيت (٦٧) وما بعده من القصيدة رقم ٤ .
٣ الخزانة (٣٤٧/١ وما بعدها) ، (بولاق) .

أنـاةٌ يتزل القوسى منها منظر هولـه
وما صهبـاء من عانةَ في الذارع محمولـه
تولى كرمهـا اصهـب يسقيه ويغدو له
ثوت في الخرس أعواماً وجاءت وهي مقتولـه
بماء المزنة الغرّا ء راحت وهي مشموله
بأشهى منك للظمآ ن لو أنك مبـذوله

فنفى على لسان الأعشى أن يكون من شعره ، أو أن يكون قد صدر عنه[1] .

وقد ورد في بعض الأخبار أن الأعشى كان نصرانيـاً . ويرى (بروكلمن) أن من الجائز أن يكون نصرانياً ، غير أن نصرانيته لم تكن مؤثرة عليه ، وهو إذا كان قد تحدث عن الله وعن البعث ، وعن الحساب ويوم الدين ، فقد تحدث غيره عن هذه الأمور أيضاً ، ولم يكن من النصارى[2] . ونحن لا نكـاد نجد في شعره ما يؤيد كونه نصرانياً صحيحاً قويم الدين ، له علم بأحكام شريعته ونواهيها ، ولعلّ نصرانيته الوحيدة البادية عليه ، هي في حلفه برهان دير هند ، وإشارتـه الى عيد الفصح والى طوفـان نوح ، وزيارته (بني الحارث بن كعب) سادة نجران ، وهم نصارى ، وتشبيهه (قيس بن معديكرب) بالرهبـان في عدله وتقواه[3] . وقوله :

وإني ورب الساجـدين عشية وما صك ناقوسَ النصارى أبيلها[4]

وقوله :

ربّي كريم لا يكـدر نعمة وإذا يناشَد بالمهـارق أنشدا[5]

---

١ رسالة الغفران (٢١١ وما بعدها) .
٢ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٤٧/١ وما بعدها) ، القصيدة رقـم ١٥ حيث يحلف بثوب راهب اللج .
٣ ديوان الاعشى (دكتور م. محمد حسين) ، راجع القصيدة رقم ٥ من مدح قيس بن معديكرب الكندي ، والقصيدة رقم ١٥ .
٤ القصيدة رقم ٢٣ .
٥ القصيدة رقم ٣٤ .

ولكننا نجده يقسم بالكعبة إذ يقول :

إني لعمر الذي خطت مناسمها تخدى وسيق اليه الباقر الغيل[1]

ويقول :

وإني وثوبي راهب اللّج والتي بناها قصيّ والمضاض بن جرهم

ويقول :

وما جعل الرحمن بيتك في العلا بأجياد غربي الفِناء المحرّم[2]

وورد ان الأعشى كان يقول بالقدر . ورد في كتاب (الأغاني) : « قال لي يحيى بن متى راوية الأعشى ، وكان نصرانياً عبادياً ، وكان معمراً ، قال : كان الأعشى قدرياً ، وكان لبيد مثبتاً ، قال لبيد :

من هداه سبلُ الخير اهتدى ناعم البال ومن شاء أضل

وقال الأعشى :

استأثر الله بالوفاء وبالعـــدل وولّى الملامة الرجلا

قلت : فمن أين أخذ الأعشى مذهبه ؟ قال: من قبل العباديين نصارى الحيرة، كان يأتيهم يشتري منهم الخمر فلقنوه ذلك »[3]. وقد جعله (المرتضى) في عداد من كان على مذهب أهل العدل من شعراء الطبقة الأولى لقوله البيت المذكور[4] .

وقد نسب الأعشى هلاك الإنسان وموته الى فعل الدهر ، إذ يقول :

فاستأثر الـــدهرُ الغداة بهم والـــدهر يرميني ولا أرمي
يا دهر قد اكثرت فجعتنا بسراتنا ووقرت في العظم[5]

---

١ القصيدة رقم (٦) .
٢ القصيدة رقم ١٥ .
٣ الاغاني (٧٩/٨) .
٤ أمالي المرتضى (٢١/١) ، ديوانه (١٥٥) .
٥ أمالي المرتضى (٤٦/١) .

ومن شعره قوله :

وأرى الغواني لا يواصلن امرأً فقد الشباب وقد يصلن الأمردا[1]

وهو شعر يظهر أنه قاله بعد أن عبث به الكبر ، وفقد الشباب ، فقاله على عادة الشعراء في ذمهم المرأة حين بلوغهم هذه المرحلة من العمر .

وروي أنه مرّ بأبي سفيان بن حرب فسأله عن وجهه الذي قدم منه فعرّفه، ثم سأله : أين يقصد ؟ فقال : أريد محمداً . فقال : إنّه يحرم عليك الزنا والخمر والقمار . فقال له : أما الزنا فقد تركني ولم أتركه ، وأما الخمر فقد قضيت منه وطراً ، وأما القمار فلعلّي أن أصيب منه خلفاً . قال : فهل لك الى خير ؟ قال : وما هو ؟ قال : بيننا وبينه هدنة فترجع عامك هذا وتأخذ مائة ناقة حمراء ، فإن ظهر أتيته ، وإن ظهرنا كنت قد أصبت عوضاً من رحلتك : قال : لا أبالي . فانطلق به أبو سفيان الى منزله وجمع له أصحابه وقال: يا معشر قريش ، هذا أعشى بني قيس بن ثعلبة ، وقد عرفتم شعره ، ولئن وصل الى محمد ليضربن عليكم العرب بشعره ، فجمعوا له مائة ناقة وانصرف ، فلما كان بناحية اليمامة ألقاه بعيره فوقصه فمات[2] .

ويذكر علماء الشعر ، ان الأعشى كان قد هيأ قصيدة لينشدها أمام النبي ، في صلح الحديبية ، فلما صرفه (أبو سفيان) عن الذهاب الى يثرب لم يقرأها . ومطلع القصيدة :

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا وبتّ كما بات السليم مسهدا[3]

وهي قصيدة نحلت عليه ، ولا يمكن أن تكون من شعر هذا الشاعر الذي لم يتعود على التعمق في جزئيات أمور الدين . ثم ان القسم الخاص بمدح النبي من

---

١ أمالي المرتضى (١/٦١٢) .

٢ السيوطي ، شرح شواهد (١/٢٤٠) ، الخزانة (١/٨٥) ، رسالة الغفران (١٧٢ وما بعدها) .

٣ السيوطي ، شرح شواهد (٢/٥٧٦) ، القطعة رقم ١٧ من ديوان الاعشى ، الاكليل (٢/٢٥٩) ، الخزانة (١/٨٥ وما بعدها) ، الشعر والشعراء (١/١٧٨ وما بعدها) .

هذه القصيدة وبأحكام الاسلام ضعيف الحبك ، لا يتناسب مع المطلع ولا مع شعر الأعشى الآخر ، ولهذا ذهب أكثر المعاصرين الى انها من الشعر المصنوع[1] . وفيها أمور من المجرمات لا يمكن أن يكون الأعشى قد وقف عليها .

ومما جاء في هذه القصيدة :

ألا أيهذا السائلي أين يممتْ ... فإن لها في أهل يثرب موعدا
فآليت لا أرثي لها من كلالة ... ولا من حفى ، حتى تلاقي محمدا
متى ما تُناخي عند باب ابن هاشمٍ ... تراحي ، وتلقي من فواضله يدا
أجدَّكَ لم تسمع وَصاةَ محمد ... نبي الإلـه حين أوصى وأشهدا
إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ... وأبصرت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله ... وأنك لم ترصد لما كان أرصدا
فإياك والميتات لا تقربنها ... ولا تأخذن سهماً حديدا لتقصدا
ولا تقربنَّ جارة إن سرَّها ... عليك حرام فانكحن أو تأبدا
نبي يرى ما لا يرون،وذكرُهُ ... أغار لعمري في البلاد وأنجدا[2]

وأنت اذا قرأت هذه الأبيات والأبيات الأخرى التي لم أذكرها ، فستخرج جازماً انها من الشعر المصنوع المنحول على الأعشى . ففيها نهي عن أكل الميتة، وعن عبادة الأوثان ، والحث على الصلاة ، وعلى ايصال السائل المحروم ، وغير ذلك من آراء اسلامية ، تجد جذورها في القرآن .

وذكر أن الأعشى سمّى قصيدته المحكمة حكيمة ، أي ذات حكمة . فقال :

وغريبة تأتي الملوك حكيمـــة ... قد قلتها ليقال من ذا قالها[3]

وقال بعض علماء الشعر : الأعشى أغزل الناس في بيت ، وأخنث الناس في

---

١ بروكلمن ، تأريخ الادب العربي (١٤٨/١) ، طه حسين ، في الادب الجـاهلي (٢٥٨) ، فؤاد أفرام البستاني ، مجلة المشرق (المجلد ٣٠) ، (ص ٧٦٣ ومـا بعدها) ، ديوان الاعشى (١٣٤) ، (الدكتور م. محمد حسين) .

٢ وفي رسالة الغفران بعض الاختلاف عما جاءت في ديوانه وفي كتب الادب ، رسالـة الغفران (١٧٨ وما بعدها) .

٣ تاج العروس (٢٥٥/٨) ، (حكم) .

بيت ، وأشجع الناس في بيت ، فأغزل بيت قوله :

غرّاء فرعـــاء مصقول عوارضها تمشي الهوينى كما يمشي الوجي الوحل

وأخنث بيت قوله :

قالت هريرة لما جئتُ زائرهـــا ويـــلي عليك وويلي منك يا رجل

وأشجع بيت قوله :

قالوا الطرادَ فقلنا تلك عادتنا أو ينزلون فـــإنا معشر نزل[1]

ومن جيد شعره قوله :

عهدي بها في الحيّ قد دُرّعت صفراء مثـــل المُهرة الضامرِ
لو أسندت ميتاً الى نحرهـــا عـــاش ولم يُنقل الى قابر
حتى يقول النـــاس مما رأوا يا عجباً للميت النـــاشر[2]

وكان الأعشى سليط اللسان ، اذا هجا أقذع ، شديداً في هجائه، للملك كان الناس يخشون جانبـــه ، ويرهبون لسانه ، وكان مدّاحاً ، يمدح فينال عطـــاء الممدوحين . وله أسلوب خاص في نظم الشعر ، وفي العرض والسبك ، وموسيقى النظم ، وفي شعره طلاوة ، وفي أبياته حلاوة . وقد أبدع في أمور، منها وصف الخمر ، ووصف الحمر الوحشية ، ولا نجد في شعره مكانـة للأطلال والديار ، وهو يطيل في النسيب[3] .

ومن أمثلة ما يروونه عن أثر شعره في الناس ، ان رجلاً بائساً مسكيناً اسمه (المحلّق) ، كان والد ثمان بنات ، ولا يملك شيئاً سوى ناقـــة ، سمعت زوجته بذكر الأعشى ومرروره منهم في طريقه الى سوق (عكاظ) ، فأشارت على زوجها أن يركض الى الأعشى ليستضيفه ، لعله يمدحه ، فيزوج بناته وينال شرف مديحه

---

١ السيوطي ، شرح شواهد (٩٦٧/٢ وما بعدهـــا) ، الخزانـــة (٥١٨/٣) ، (بولاق) .
٢ أمالي المرتضى (٤٥١/١) .
٣ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٤٨/١ وما بعدها) .

بين الناس . ففعل ، وذبح ناقته الوحيدة وأكرمه مع بناته غاية الإكرام ، فلما علم الأعشى بسوء حاله ، أعدّ له قصيدة ، ألقاها في عكاظ ، مطلعها :

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة الى ضوء نار في يفاع تحرق

فلما رأى الناس (المحلق) ، وقد حيّاه الأعشى ، أقبل الناس يخطبون منه بناته ، فما قام من مقعده حتى خطبت بناته جميعاً[1] .

ولعلّ خفة عروض شعر الأعشى ومرونته ، وما في شعره من ترنيم ورنين، وما فيـــه من سهولة ، تدل على براعة في الشعر ، هي التي حملت بعض علماء الشعر على تقديمه على غيره ، أو على رفع مكانته بوضعه في طبقة الشعراء الفحول من الطبقة الأولى ، غير أن من العلماء من انتقد شعره ، وانتقد اكثاره من ادخال الألفاظ الأعجمية في نظمه[2] .

وكان للأعشى راوية اسمه (عبيد) ، كان يصحبـه ويروي شعره ، وكان عالماً بالإبل . ومنه أخذ الرواة أخبار الأعشى وشعره . وكان (سماك) أحـــد الرواة المتصلين به ، وعنه أخذ (حماد) الراوية أخباره عن الأعشى . وعنه أيضاً أخذ (شعبة بن الحجاج) أخبـــاره عن (الأعشى) . وعن (شعبة) روى (مؤرج بن عمرو السدوسي) (أبو فيد) أحد علماء البصرة المتوفى سنة (١٩٥ هـ). وعنه أخذ (الرياشي) أخباره عن (الأعشى) . و (الرياشي) هو (أبو الفضل) العباس بن الفرج مولى سليمان بن عليّ الهاشمي . وكان عالماً باللغة والشعر كثـــير الرواية عن (الأصمعي) . وقد توفي الرياشي سنة (٢٥٧ هـ)[3] .

وقد شك علماء الشعر في صحة نسبة بعض الشعر الى (الأعشى) . فقد روى (أبو عبيدة) ان (أبا عمرو بن العلاء) زاد بيتاً على قصيدة :

بانت سعاد وأمسى حبلها انقطعا واحتلت الغمر فالجدين فالفرعا

وهو البيت الثاني من هذه القصيدة . وروى غيره ان (حماد) الراوية ، هو

---

١ الخزانة (٣/٢١١ وما بعدها) ، (بولاق) .
٢ الموشح (٤٩ وما بعدها) ، بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١/١٤٩) .
٣ الشعر والشعراء (١/١٨١) ، الفهرست (٩٢) .

اللذي دس ذلك البيت ، ولم يطمئن (المرزباني) من هذه القصيدة ، ثم هي « من الأشعار الغثة الألفاظ ، الباردة المعاني ، المتكلفة النسج ، القلقة القوافي ، المضادة للأشعار المختارة » ، ما خلا ستة أبيات[1] .

ولم يرض (المرزباني) عن قصيدة الأعشى الثانية المدونة في ديوانه ، ومطلعها:

لعمرك ما طولَ هذا الزمن على المرء إلا عناءٌ معنّ[2]

وفي شعره قصائد تعد من المصنوعات[3] .

ويذكر أن الأعشى كان يهاجي شاعراً عرف بـ (جُهُنّام) ، وهو لقب (عمرو بن قطن) من بني سعد بن قيس بن ثعلبة[4] ، وذكر أنه هو القائل :

أبوك قتيل الجوع قيس بن جندلٍ وخالك عبدٌ من خماعة راضع

قاله يهجو به الأعشى . إذ زعم أن والده دخل غاراً ، فوقعت عليه صخرة، سدت فم الغار ، فمات فيه من الجوع[5] .

وفي حقه قال الأعشى :

دعوت خليلي مسحلاً ودعوا له جُهُنّام جدعاً للهجين المذمم

وذكر ان (جهنام) تابعة للأعشى ، أي شيطانه ، كما يقال لكل شاعر شيطان[6] :

والنابغة ، هو (زياد بن معاوية بن ضباب) الذبياني ، أبو أمامة وقيل (أبو ثمامة) و (أبو عقرب) ، أحد شعراء الجاهلية المشهورين ، ومن أعيان فحولهم المذكورين . عدّه بعض العلماء من الطبقة الأولى بعد (امرىء القيس) .

---

١ الموشح (٤٩ وما بعدها) ، بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١/١٤٩) ، ديوان الاعشى (١٠٠) ، (القصيدة ١٣) ، (دكتور م. محمد حسين) .
٢ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١/١٤٩) .
٣ العصر الجاهلي (٣٤٠ وما بعدها) .
٤ تاج العروس (٨/٢٣٥) ، (جهنام) .
٥ الاغاني (٩/١٠٨) .
٦ تاج العروس (٨/٢٣٥) .

وذكر أن الخليفة (عمر) قال : أشعر العرب النابغة . وأنه قال : « النابغة أشعر شعرائكم ، وأعلم الناس بالشعر » أو أنه قال : « هذا أشعر شعرائكم »، وذلك لوفد كان قد قدم عليه ، كان في جملة ما تحدث عنه موضوع الشعر، وموضوع أفضل شاعر جاهلي[1] . وقد فضله (ابن عباس) على غيره أيضاً في رواية تنسب اليه[2] . وذكر أن الشاعر (حسان بن ثابت) سئل من أشعر الناس ؟ فقال : أبو أمامة ، يعني النابغة الذبياني . وأن (أبا عمرو بن العلاء) ، قال : « كان أوس بن حجر فحل العرب ، فلما أنشأ النابغة طأطأ منه . وأنه قال أيضاً، وكان بعضهم قد ذكر النابغة وزهير : ما كان زهير يصلح أن يكون أخيذاً للنابغة ، يعني راوياً عنه[3] . وقال بعضهم : « كان النابغة أحسنهم ديباجةَ شعر وأكثرهم رونق كلام ، وأجزلهم بيتاً ، كان شعره كلاماً ليس فيه تكلف ، ونبغ في الشعر بعدما احتنك ، وهلك قبل أن يُهتر »[4] . « وقال أبو عبيدة : يقول من فضل النابغة على جميع الشعراء : هو أوضحهم كلاماً ، وأقلهم سقطاً وحشواً ، وأجودهم مقاطعَ ، وأحسنهم مطالعَ ، ولشعره ديباجة ، ان شئت قلت : ليس بشعر مؤلف ، من تأنقه ولينه ، وان شئت قلت : صخرة لو رديت بها الجبال لأزالتها »[5] .

وذكر ان (النعمان) غنّي بشيء من دالية النابغة ، فقال : هذا شعر علوي ، أي عالي الطبقة أو من عليا نجد[6] . وقيل عن شعره : « ينسبُ اذا عشق ويثلب اذا حنق ويمدح اذا رغب ، ويعتذر اذا رهب »[7] . وقد قال الأصمعي فيه وفي

---

١ السيوطي ، شرح شواهد (١/٧٨ وما بعدها) ، أمالي المرتضى (٢/١٧) ، الخزانة (٢/٦) ، طبقات الشعراء (٤٧ وما بعدها) ، الشعر والشعراء (١٢٤) ، ديوان النابغة (٥٧) ، كنى الشعراء ، لمحمد بن حبيب (٢٨٨) ، (سلسلة نوادر المخطوطات) ، (عبد السلام هارون) .

٢ السيوطي ، شرح شواهد (١/٨٠) ، الخزانة (٢/٧) ، الشعر والشعراء (١١٠ ، ١٢٣ ، ٣٠٣) ، الخزانة (٢/٤٤٨) ، (هارون) .

٣ السيوطي ، شرح شواهد (١/٨٠) .

٤ الشعر والشعراء (١/٩٢) ، (الثقافة) .

٥ الشعر والشعراء (١/١٠١ وما بعدها) ، جمهرة اشعار العرب (٢٦) .

٦ تاج العروس (١٠/٢٥٣) ، (علو) .

٧ كارلو نالينو (٨٦) .

غيره من الشعراء المشاهير : « كفاك من الشعراء أربعة : زهير اذا طرب ، والنابغة اذا رهب ، والأعشى اذا غضب ، وعنترة اذا كلب »[1] .

قيل انما سمي النابغة بقوله : فقد نبغت لنا منهم شؤون ، وانه كان شريفاً فغض منه الشعر . وكان مع النعمان بن المنذر ومع أبيه وجدّه ، وكانوا له مكرمين.

وروي ان أول ما تكلم به النابغة من الشعر ، انه حضر مع عمه عند رجل ، وكان عمه يشاهد به الناس ويخاف أن يكون عيبا ، فوضع الرجل كأساً في يده وقال :

تطيب كؤوسنا لولا قذاها ويحتمل الجليس على أذاها

فقال النابغة : وحي لذلك :

قذاها أن صاحبها بخيل يحاسب نفسه بسكم اشتراها[2]

وقد أخذ عليه علماء الشعر تكسبه بشعره، فقد ذكروا ان العرب كانت لا تتكسب بالشعر ، وانما يصنع أحدهم ما يصنعه فكاهة أو مكافأة عن يد لا يستطيع على أداء حقها إلا بالشكر إعظاماً لها ، حتى نشأ النابغة ، فمدح الملوك وقبل الصلة على الشعر وخضع للنعمان بن المنذر،وكان قادراً على الامتناع منه بمن حوله من عشيرته أو من سار اليه من ملوك غسان ، فسقطت منزلته ، وتكسّب مالاً جسيماً ، حتى كان أكله وشربه في صحاف الذهب والفضة وأوانيه من عطاء الملوك[3] . وفي هذا القول الذي لا يخلو من مبالغة ، دلالة على ان النابغة قد كان موسراً نوعاً ما حسن الحال ، وان قسماً من ثرائه قد جاء اليه من مدحه للملوك .

وقد رمي بالإقواء ، فقيل انه كان يقوي في شعره ، فعيب ذلك عليه ، وأسمعوه في غناء :

أمن آل مية رائح أو مغتد عجلان ذا زاد وغير مزوّد
زعم البوارح أن رحلتنا غدا وبذاك خبّرنا الغداف الأسود

---

١ جمهرة أشعار العرب (٢٦) ، المزهر (٢/٢٩٧) .
٢ السيوطي ، شرح شواهد (١/٨٠) .
٣ العمدة (١/٤٩) .

ففطن فلم يعد[1] . وذكر ان ذلك كان بيثرب . فقد كان قد دخلها فغني بشعره ، ففطن فلم يعد للإقواء[2] .

وقد أخذ العلماء عليه بعض مآخذ ، ذكرها (ابن قتيبة) في كتابه : (الشعر والشعراء)[3] ، وأخذوا عليه (الاكفاء) في بعض أشعاره[4] .

ونفى (المعري) في رسالة الغفران أن تكون الكلمة التي أولها :

أَلِمَا عـلى المطورة المتأبده أقامت بها في المربع المتجرده[5]
مضمخة بالمسكِ مخضوبة الشوى بدرٍ وياقوت لهـا متقلده

من شعـر النابغة ، إذ يقول على لسانه : « ما أذكر أني سلكت هـذا القري قط » ، ثم ينسبها الى رجل من بني ثعلبة بن عكابة[6] .

والنابغة مثل غيره من أهل زمانه ، كان يعتقد بالجن ، فأشار في شعره الى (جنة البقار) . ونجد في شعر (زهير) إشارة الى (جنة عبقرية) ، و (جنة عبقر) مشهورة في أساطير الجاهليين . وذكر (لبيد) (جن البديّ)[6] . وهو ممن ذكر بعض القصص والأساطير في شعره ، فقد ذُكر (النعمان بن المنذر) ، بقصة زرقاء اليمامة ، وهي قصة يظهر أنها كانت شهيرة وشائعة بين الجاهليين ، ضربها مثلاً له ، وذكر قصة الحيـة ، وهي اسطورة في ذم الغدر والخيانـة ، ضربت مثلاً ، لكل من يغدر ، ومثل هذه الأساطير معروفة عند الأمم الأخرى، ولا سيما قصص الإنسان مع الجن ، والحية من فصائل الجن في نظر أكثر الجاهليين. وكانت العرب تضرب أمثالاً على ألسنة الهوام[7] .

ويظهر من الشعر المنسوب الى النابغة انه كان لا يتبذل في مجون ، ولا يسرف في هجاء ، ولا يتدنى في سفاهة ، وقد نسب بعض المستشرقين هذا الخلق الرفيع

---

١ الشعر والشعراء (٩٣/١) ، (الثقافة) .
٢ المصدر نفسه (١٠٢/١) .
٣ (١٠٢/١ وما بعدها) .
٤ الشعر والشعراء (١٠٥/١) ، (الثقافة) .
٥ رسالة الغفران (٢٠٧ وما بعدها) .
٦ الصفة (١٢٨) .
٧ الشعر والشعراء (٩٦/١) .

الذي نراه فيه الى تنصره ، مستدلين على رأيهم هذا بما ورد في شعره من أمور نصرانية ، غير اننا لا نستطيع إثبات ذلك ، كما اني لا أستطيع نفيها عنه مستشهداً بالبيت :

فلا لعمر الذي قد زرته حججاً وما هريق على الأنصاب من جسد[1]

فالقسم عند الجاهليين لا يشير دائماً الى عقيدة صاحب القسم ، فقد نسب الى (عدي بن زيد) العبادي القسم بمكة ، ولم يكن من عبّاد الأصنام ، ثم إن من المحتمل أن يكون من الشعر المصنوع ، واني أرى ان ما نسب الى (عدي) من هذا القسم موضوع عليه . فهو رجل نصراني ، وكان الملك وثنيـــاً ، ثم صار نصرانياً ، ولم يكن عبّاد الأصنام من عرب الحيرة يحجون الى مكـــة حتى يقسم (عدي) بها مجاراة للوثنيين ، ولذلك أرى ان هذا الشعر مصنوع عليه ، صنع لإظهار ان الحج الى مكة كان عاماً عند جميع العرب ، حتى عرب العراق وبلاد الشأم،وقد رأينا ان أهل الأخبار صبروا ملوك اليمن من أشد الناس تعلقاً بالكعبة، جعلوهم يحجون اليها ، مع ان المسند يسخر من هذه الخزعبلات ، كما اننا لا نسمع بحج أحد من عرب العراق أو بلاد الشأم الى مكة ، ولو كانوا يحجون اليها لما سكت أهل الأخبار عن ذلك .

ونال النابغة الذبياني رزقاً كثيراً من النعمان بن المنذر . أعطاه مرة مئة ناقة من الإبل السود برعاتها ، لإنشاده قصيدته التي يقول فيها :

فإنك شمس والملوك كواكـــب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب[2]

والإبل السود ، هي أغلى وأثمن الإبل عند العرب . وكاد ملوك الحيرة يحتكرون هذه الجمال ، ولا يسمحون لافتحال أحد فحلاً أسودَ . ولهذا كان هذا الحباء الذي أغدقه النعمان على النابغة حباءً ثميناً وعطاءً كبيراً،وكان (النعمان) قد أعطى (النابغة) إبلاً وريشها ، أي بما يصلحها من الآلة والثياب[3] .

وروي عن الشاعر (حسان بن ثابت) ، أنه رحل الى (النعمان) ، فلقي

---

١ معلقته البيت رقم (٣٧) .
٢ العقد الفريد (٢/٢٢) « لجنة » .
٣ مجالس ثعلب (٣٥) .

رجلاً فقال : أين تريد ؟ فقلت : هذا الملك ، قال : فإنك إذا جئته متروك شهراً ، ثم يسأل عنك رأس الشهر ، ثم أنت متروك شهراً آخر ، ثم عسى أن يأذن لك ، فإن أنت خلوت به وأعجبته فأنت مصيب منه ، وان رأيت (أبا أمامة) النابغة فاظعن ، فإنه لا شيء لك . قال : فقدمت عليه ، ففعل بي ما قال ، ثم خلوت به وأصبت منه مالاً كثيراً ونادمته ، فبينا أنا معه في قبّة إذ جاء رجل يرجز حول القبة :

أنمت أم تسمع ربّ القبة يا أوهب الناس لعنسٍ صُلْبة
ضرّابة بالمشفر الأذبّة ذات هباب في يدها جُلبة

فقال النعمان : أبو أمامة ! فأذنوا له ، فدخل فحيّاه وشرب معه ، ووردت النعم السود ، ولم يكن لأحد من العرب بعير أسود يُعلَمُ مكانه ، ولا يفتحل أحدٌ فحلاً أسود ، فاستأذنه أن ينشده ، فأنشده كلمته التي يقول فيها :

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبدُ منهن كوكب

فدفع اليه مائة ناقة من الإبل السود ، فيها رعاؤها ، فما حسدت أحداً حسدي النابغة ، لما رأيت من جزيل عطيته ، وسمعت من فضل شعره[1] .

وذكر انه نادم المنذر الثالث والمنذر الرابع من ملوك الحيرة ، وكان من المقربين جداً من النعمان بن المنذر ، المعروف بأبي قابوس . ثم وقعت نفرة بينهما ، أدت الى هروب (النابغة) من (النعمان) ، وذهابه الى (عمرو بن الحارث) ملك غسان والى ابنه (النعمان بن عمرو) . وسبب هروبه من ملك الحيرة على ما يزعمه أهل الأخبار ، ان (النابغة) تجاسر فوصف (المتجردة) امرأة النعمان بن المنذر ملك الحيرة[2] ، وتغزل بها ، مما أثار غضب النعمان عليه ، فخاف على نفسه ، وفر الى أعداء النعمان ملوك غسان . ويظهر ان النابغة ، كان يتصل بالغساسنة ويراجعهم ، وهم أعداء ملوك الحيرة ، أو ان جماعة من حساد النابغة وأعدائه دسوا ذلك الوصف عليه ، ونسبوه له ، ورووه وأوصلوه الى النعمان،

---

١ الشعر والشعراء (٩٨/١ وما بعدها) ، السيوطي ، شرح شواهد (٨١/١) .
٢ تاج العروس (٣١٩/٢) ، (جرد) ، المحاسن والاضداد (١٤٣) .

وهو رجل عصبي المزاج ، حاد الطبع ، سريع التأثر والأخذ بأقوال النـــاس ، فأراد الفتك به ، فهرب النابغة الى مكان يكون بمأمن فيه ، وينال فيه التقدير ، فوقع اختياره على أرض الغساسنة . وعاش في كنف عمرو بن الحارث ، وفي ظل ابنه (النعمان) . فلما مات (النعمان بن عمرو بن الحارث) ، أخذ ينظم الشعر في مدح (النعمان بن المنذر) ، وفي الاعتذار منه ، وفي التنصل مما اتهمه بـــه حساده ، حتى عفى الملك عنه ، فعاد الى الحيرة ، ولما مات (النعمان) في محبسه، رجع النابغة الى قبيلته ، وعاش بينها حتى مات هناك[1] .

ولأهل الأخبار قصص في سبب وقوع هذه النفرة ، فقال قوم : إنـه هجاه فقال :

ملك يلاعبُ أمـــه وقطينـه رخو المفاصل أيره كالمرود

وهجاه أيضاً فقال قصيدة فيها :

قبـــح الله ثم ثنى بلعـــنٍ وارث الصائغ الجبان الجهولا
من يضر الأدنى ويعجز عن ضر الأقاصي ومن يخون الخليلا
يجمع الجيش ذا الألوف ويغزو ثم لا يرزأ العدوَّ فتيـــلا

ويقال إن هذا الشعر والذي قبلـــه لم يقله النابغة ، وإنما قاله على لسانه قوم حسدوه ، منهم (عبد قيس بن خفاف) التميمي ، ومنهم (مرة بن ربيعة بن قرثع) السعدي[2] ، (مرة بن ربيعة بن قريع) وهو الذى سعى الى النعـــمان بالوشاية بالنابغة[3] .

ويقال ان النعمان قال للنابغة وعنده المتجردة امرأته : صفهـــا لي في شعرك يا أبا أمامة ! فقال قصيدة[4] ذكر فيها بطنها وعكنها ومتنها وروادفهـــا وفرجها ،

---

١ الشعر والشعراء (٧٠ وما بعدها) ، الاغاني (٩/١٦٢ وما بعدها) ، بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١/٨٨ وما بعدها) ، تاريخ ملوك العرب الاولية (١٠٧ وما بعدها ، ١١١) .

٢ الشعر والشعراء (١/٩٩ وما بعدها) ، (الثقافة) .

٣ « مرة بن ربيعة بن قزيع » ، الخزانة (٢/٣٢٢) ، (هارون) .

٤ هي القصيدة التي أولها : « أمن آل مية رائح أو مغتد » ، الخزانة (١/٢٨٧ ومـــا بعدها) ، (بولاق) ، (١/٤٢٧) ، (بولاق) .

وكان للنعمان نديم هو (المنخل) اليشكري ، يتهم بالمتجردة ويظن بولد النعمان منها أنهم منه ، وكان (المنخل) جميلاً ، وكان النعمان قصيراً دميماً أبرش ، فلما سمع المنخل هذا الشعر قال للنعمان : ما يستطيع أن يقول مثل هذا الشعر إلا من قد جرب ! فوقر ذلك في نفسه ، وبلغ النابغة ذلك فخافه فهرب الى غسان، فصار فيهم ، وانقطع الى (عمرو بن الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبي شمر الغساني) ، والى أخيه النعمان بن الحارث ، فأقام النابغة فيهم فامتدحهم ، فغمّ ذلك النعمان ، وبلغه أن الذي قذف به عنده باطل، فبعث اليه : إنك صرت الى قوم قتلوا جدي فأقمت فيهم تمدحهم ، ولو كنت صرت الى قومك لقد كان لك فيهم ممتنع وحصن ، إن كنا أردنا بك ما ظننت، وسأله أن يعود اليه ، فقال شعره الذي يعتذر فيه . وقدم عليه مع (زبّان بن سيّار) ، و (منظور بن سيار) الفزاريين ، وكان بينهما وبين النعمان دخلل ، فضرب لهما قبة ، ولا يشعر أن النابغة معهما . ودس النابغة أبياتاً من قصيدته :

يا دار ميّة بالعلياء فالسند

فلما سمع النعمان الشعر ، أقسم بالله انه لشعر النابغة ، وسأل عنه فأخبر انه مع الفزاريين ، وكلّماه فيه فأمنه[1] . ويرى (بروكلمن) ان (النابغة) كان قد واصل بني غسان ، فظن (النعمان) به الغدر ، وعدم الوفاء له ، وهرب النابغة منه ، فوجد ملجأ في بلاط عمرو بن الحارث ، رجع النابغة الى الحيرة ، ونال عفو أبي قابوس وحظوته من جديد ، ولكنه لم يتمتع طويلاً بذلك ، لموت أبي قابوس في سجن كسرى ، فرجع الى قبيلته (بني ذبيان) ، حيث توفي بينها[2] .

وقد مدح (النابغة) (عمرو بن الحارث) الغساني ، والغساسنة بشعر حسن ، يعدّ من الشعر الحسن المتفوق في المديح ، من جملة ما ورد فيه :

مجلتهم ذات الإلـه ودينهم قويم فما يرجون غير العواقب[3]

---

١ الشعر والشعراء (٩٩ وما بعدها) ، (الثقافة) .
٢ بروكلمن (٨٨/١ وما بعدها) .
٣ « محلتهم » ، كارلو نالينو (٨٥) .

رقاق النعال طيب حجزاتهم يحيّون بالريحان يوم السباسب
تحيّيهمُ بيض الولائد بينهم واكسية الإضريج فوق المشاجب
يصونون أجساداً قديماً نعيمها بخالصة الأردان خضر المناكب
ولا يحسبون الخير لا شرّ بعده ولا يحسبون الشر ضربة لازب
حبوتُ بها غسان إذ كنت لاحقاً بقومي وإذ أعيت عليّ المذاهب[1]

وهو مدح يختلف عن مدح شعراء البادية ، فيه رقة وجمال ، وفيه إبداع في وصف الغساسنة وعادتهم في الاحتفال بأعيادهم النصرانية[2] .

وتروى للنابغة خطبة ، ذكر انه خاطب بها (الحارث) الغساني ، ليفك له أسرى قبيلته[3] .

ويروى ان العرب سألت النابغة أن يضرب قبة بعكاظ فيقضي بين الناس في أشعارهم لبصره بمعاني الشعر ، فضرب قبة حمراء من أدم وأتته وفود الشعراء من كل أوب ، فكان يستجيد الجيد من أشعارهم ، ويرذل ، فيكون قوله مسموعاً فيهم جميعاً ومأخوذاً به . فكان فيمن دخل عليه (الأعشى) وحسان بن ثابت والخنساء ، فأنشده الأعشى ، ثم أنشده حسان ، ثم أنشدته الخنساء ، فقال النابغة مخاطباً (حسان) : « لولا ان أبا بصير ، يعني الأعشى ، أنشدني لقلت انك أشعر الجن والأنس ، فقال حسان : أنا والله أشعر منك ومن أبيك ومنها ! » وهي قصة تروى بشرح أوفى ، قرن بالأسباب التي دعت بالنابغة الى تفضيل شعر الأعشى على شعر حسان . وهي قصة طعن في صحتها بعض علماء الشعر[4] .

وللنابغة شعر في هجاء (زرعة بن عمرو) الكلابي، وكان لقي النابغة بعكاظ وأشار عليه أن يشير على قومه أن يغدروا بـ (بني أسد) ، وينقضوا حلفهم ، فأبى عليه النابغة ، فتوعده ، فقال النابغة :

---

١ ديوان النابغة عدد (١) .
٢ كارلو نالينو (٨٦) .
٣ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١/٨٩ وما بعدها) .
٤ السيوطي ، شرح شواهد (١/٢٥٧) .

نبتت زرعة والسفاهة كاسمها يهدى إليّ غرائب الأشعار
فحلفت يا زرع بن عمرو انني مما يشق على العدو ضراري[1]

وله شعر يهجو به (عامر بن الطفيل) حيث يقول :

فإن يك عامر قد قال جهلاً فإن مطيّة الجهل الشباب
فإنك سوف تحكم أو تناهى إذا ما شبتَ أو شاب الغراب

يقول : هو معذور فإنه شاب ، ثم قال : سوف تحكم إذا شخت ، أو لعلك لا تحكم أبداً ؛ حتى يشيب الغراب ، وذلك لا يكون أبداً ، وتحكم ، أي تصير حكيماً[2] . ويلاحظ أن هجاء النابغة هو هجاء مؤدب لا جهالة فيه ولا سفاهة ، عف يؤثر في المهجو أكثر من أثر الهجاء الفاحش المليء بالسفاهة والسباب .

وقد نُعت شعراء آخرون بلفظة (النابغة) ، غير النابغة الذبيـاني . منهم : النابغة الجعدي : قيس بن عبـدالله الصابي ، والنابغة الحارثي زيد بن ابان ، والنابغة الشيباني : حمـل بن سعدانة ، والنابغة الذهلي : المخارق بن عبدالله ، والنابغة ابن لؤي بن مطيع الغنوي،والنابغة العدواني ، والنابغة ابن قتال بن يربوع الذبياني ، والنابغة التغلبي الحارث بن عدوان[3] .

وتبدأ معلقة (النابغة) بقوله :

يا دار ميّة بالعلياء فالسندِ أقوت،وطال عليها سالفُ الأبد[4]

ولما تحدث (البغدادي) عن الشاهد التاسع والثمانين بعد المائة ، وهو :

كأنه خارجاً من جنب صفحته سفود شرب نسوه عند مفتأد

قال : « وهذا البيت من قصيدة للنابغة الذبياني ، يمدح بها النعمان بن المنذر، ويعتذر اليه فيها مما بلغه عنه » . ثم قال : « وهذه القصيـدة أضافها أبو جعفر

---

١ الخزانة (٣/٦٧ وما بعدها) ، (بولاق) .
٢ أمالي المرتضى (١/٥٥) .
٣ السيوطي ، شرح شواهد (١/٨١) ، الخزانة (١/٢٨٩) ، (بولاق) .
٤ شرح القصائد العشر ، للزوزني (٥١٢ وما بعدها) .

أحمد بن محمد بن اسماعيل النحوي الى المعلقات السبع لجودتها وقد أورد الشارح المحقق في شرحه عدة أبيات منها ، وقبل هذا البيت :

كان رحلي وقد زال النهار بنا بذي الجليل على مستأنس وحد
من وحش وجرة موشّي أكارعه طاوى المصير كسيف الصيقل الفرد[1]

وهي قصيدة نعتها (البغدادي) بأنها طويلة[2] ، ويبلغ عدد أبياتها في المعلقات (٥٠) بيتاً[3] . وقد ورد فيها اسم النبي (سليمان) ، ذكر انه انما ذكره فيها ، لأنه كان له الملك مع النبوة ، يريد انه لا يشبهه أحد ممن أوتي الملك إلا سليمان النبي[4] . وتعدّ من أحسن شعر النابغة ، « ولهذا ألحقوها بالقصائد المعلقات »[5] .

ومن شعر النابغة قوله :

فلا زال قبر بين تبنى وجاسم عليــه من الوسمي طل ووابل
فينبت حوذاناً وعوفاً منــوراً سأتبعه من خير ما قال قائل

وذلك على مذهب العرب المعروف في ذلك ، لأنهم كانوا يستسقون السحائب لقبور من فقدوه من أعزائهم ، ويستنبتون لمواقع حفرهم الزهر والرياض. ويجرونه مجرى الاسترحام ، ونسب (ابن الأعرابي) الى (علي) قوله : « إن العرب انما تستسقي القبور لأنها اذا سقيت وعمّ الفطر أعشب المكــان ، فحضره القوم للرعي ، وترحموا على الموتى »[6] .

وكان النابغة صديقاً لزهير بن أبي سلمى ، « روى هشام بن المنذر قال : قال زهير بن أبي سُلمى المزني بيتاً ثم أكدى ، ومر به النابغة الذبياني فقال له: أجز ، قال : ماذا ؟ قال :

تزال الأرضُ إما متّ خفاً وتحيــا ما حييت بها ثقيلا
نزلت بمستقر العــز منهــا . . . . . .

---

١ الخزانة (١/٥٢١) ، (بولاق) .
٢ الخزانة (٢/٤٥) ، (بولاق) .
٣ التبريزي ، شرح القصائد العشر (٥٣٣) .
٤ الخزانة (٢/٤٥) ، (بولاق) .
٥ الخزانة (٢/٣١٥) ، (بولاق) .
٦ أمالي المرتضى (١/٥٤) .

فماذا قال ؟ فأكدى والله النابغة أيضاً ، وأقبل كعب بن زهير وهو غلام ، فقال له أبوه : أجز يا بني ، فقال : ماذا ؟ فأنشده البيت الأول ، ومن الثاني قوله : بمستقر العز منها ؛ فقال كعب :

فتمنع جانبيها أن تزولا

فقال زهير : أنت والله ابني »[1] .

و(عَبيد بن الأبرص بن عوف بن جشم بن عامر بن زهير بن مالك بن الحارث) الأسدي ، شاعر مفلق من فحول شعراء الجاهلية . وكان معاصراً لامرىء القيس، إذ يروي أهل الأخبار له قصيدة يخاطب بها امرأ القيس بن حجر ، أولها :

ياذا المخوفنا بقتـ ـل أبيه إذلالاً وحينا
أزعمت أنك قد قتلـ ـت سراتنا كذباً ومينا[2]

أو أنه قال :

يا ذا المخوفنا بمقتل شيخه حُجرٍ تمنى صاحب الأحلام

يخاطب به امرأ القيس الشاعر ، الـذي هدد (بني أسد) قتلة أبيه ، فأجابه عنهم بأن جعل وعيده كاذباً وما تمناه من الإيقاع بهم ، كأضغاث أحلام[3] . فهو اذن من الرعيل القديم من الشعراء المعاصرين لامرىء القيس .

وذكر انه القائل :

سائل بنا حجر بن أم قطام إذ ظلت به السمرُ الذوابل تلعب[4]

وقد قدّمه بعض علماء الشعر ، فجعله من طبقة (امرىء القيس) ، وجعله بعضهم من الطبقة الرابعة من فحول الجاهلية، وقرن به طرفة،وعلقمة بن عبدة ،

---

١ أمالي المرتضى (٩٧/١ وما بعدها) .
٢ السيوطي ، شرح شواهد (٢٥٨/١) ، الخزانـة (٣٢٤/١) ، (بـولاق) ، (٢١٢/٢) ، (هارون) ، الاغاني (٨٧/١٩) ، البخلاء (١٩٠) .
٣ الخزانة (٢١٢/٢ وما بعدها) ، (٣٢٤/١) ، (بولاق) .
٤ أمالي المرتضى (٥٦/١) .

وعدي بن زيد[1] . وأجود شعره قصيدته التي يقول فيهـا : « أقفـر من أهله ملحوبُ » . وهي احدى السبع[2] . وجعلوه في عداد المعمرين ، فجعـل (ابن قتيبة) عمره يوم قتل أكثر من ثلاثمائة سنة[3] . وجعل (السجستاني) عمره مائتي سنة وعشرين ، ثم استدرك المقدار وقال : « ويقال بـل ثلثمائة سنة »[4] . ولكي يثبتوا صحة دعواهم في انه عاش هذا العمر ، رووا له شعراً زعموا انه قاله،هو :

ولتأتين بعدي قرون جمـة ترعى محارم أيكة ولدودا
فالشمس طالعة وليل كاسف والنجم يجري أنحساً وسعودا
حتى يقال لمن تعرق دهره يا ذا الزمانة هل رأيت عبيدا
مائتي زمان كامل وبضعـة عشرين عشت معمراً محمودا

أدركت أول ملك نَصرٍ ناشئاً وبنـاء شـدّاد وكان أبيـدا
وطلبت ذا القرنين حتى فاتني ركضاً وكدت بأن أرى داودا
ما تبتغي من بعـد هذا عيشة إلا الخلـود ولن تنال خلودا
وليفنين هـذا وذاك كلاهمـا إلا الإله ووجهـه المعبودا

وزعم أنه هو القائل :

فنيت وأفناني الزمان وأصبحت لداني بنو نعش وزهر الفراقـد

وأنه القائل :

تذكرت أهل الخير والباع والندى وأهل عتاق الخيل والخمر والطيب
فأصبح مني كل ذلك قد خلا وأي فتى في الناس ليس بمكذوب
ترى المرء يصبو للحياة وطيبهـا وفي طول عيش المرء برح بتعذيب[5]

وهو شعر لو أخذنا بحكم من ذكروا فيه ، إذن وجب أن يكون عمر (عبيد)

---

١ السيوطي ، شرح شواهد (١/٢٦٠) ، الخزانة (٢/٢١٥) ، ابن سلام ، طبقات (٣١) ، الاغاني (١٩/٨٤) .
٢ الشعر والشعراء (١/١٨٨) ، (الثقافة) .
٣ الشعر والشعراء (١/١٨٧ وما بعدها) .
٤ الخزانة (١/٣٢٣) ، (بولاق) .
٥ الخزانة (١/٣٢٣) .

قد جاوز الألف سنة بكثير ، ويكون أهل الأخبار قد ظلموه ، إذ جعلوا عمره أكثر من ثلثمائة سنة ، وهو دون هذا العمر بكثير .

وزعم أن (المنذر بن امرىء القيس بن ماء السماء اللخمي) المعروف بـ (ذي القرنين) ، لقي (عبيـــد بن الأبرص) في يوم بؤسه ، وكان يقتل أول من يرى في يوم بؤسه ، فلما رآه قال له : هلاّ كان المذبوح غيرك يا عبيد ! فقال: أتتك بحائن رجلاه ، وأرسله مثلاً ، فقال له : أنشدني يا عبيد ؛ فربما أعجبني شعرك ! فقال : حال الجريض دون القريض ، وبلغ الحزام الطبيين . وأرسلها مثلاً ، وبقي يسأله وهو يجيب ، فيصير جوابه مثلاً ، حتى أمر بقتله ، فقال :

وخيّرني ذو البؤس في يـوم بؤسه خصالاً أرى في كلها الموت قد برق
كما خُيّرت عادٌ من الدهر مرّة سحائب ما فيهـا لذي خيرة أنق
سحائبَ ريـح لم توكّل ببلدة فتتركهـا إلاّ كما ليلـةِ الطلق

وزعم أنه سأله أي قتلة تختار ؟ قال عبيد : أسقني من الراح حتى أثمل ، ثم افصدني الأكحل ، ففعل ذلك به ، ولطخ بدمه الغريين[1] .

وقد أخطأ (ابن قتيبة) ، إذ جعل قاتله (النعمان بن المنذر)[2] ، بينما هو (المنذر بن ماء السماء) ، في الموارد الأخرى .

ولعبيد بن الأبرص شعر يتباهى فيه ببني أسد قومه ، من ذلك قوله :

فاذهب اليك فإني من بني أسد أهل القباب وأهل الجرد والنادي[3]

وبقباب الأدم تتفاخر العرب ، وللقباب الحمر قالوا : مضر الحمراء،والجرد : الخيل القصيرة الشعر ، وانما ذكـــر النادي لأن النادي من سماء السيادة والرئاسة وضخامة القبيلة ، حيث يجتمع ساداتها فيه .

---

١ الخزانة (٢١٨/٢ وما بعدها) ، (هارون) ، الخزانة (٣٢٤/١) ، (بـولاق) ، السيوطي ، شرح شواهد (٢٦٠/١) ، أسماء المغتالين (المجموعة السادسة مـــن نوادر المخطوطات) ، (ص ٢١١) .

٢ الشعر والشعراء (١٨٨/١) ، (دار الثقافة) .

٣ الحيوان (٤٨٦/٥) .

وله قصيدة قالها متشكياً فيها من إعراض صاحبته عنه ، إذ رأته وقد كبر وصار شيخاً ، تغير لون شعره ، وعلا الشيب مفرقيه ، وقلّ ماله ، منها هذه الأبيات :

تلك عرسي غضبى تريد زيالي ألبين تريدُ أم لدلال
إن يكن طلبك الفراق فلا أحفلُ أن تعطفي صدور الجمال
أو يكن طِبُّك الدلال فلو في سالف الدهر والليالي الخوالي
كنتِ بيضاء كالمهاة وإذ تيك نشوانَ مُرخياً أذيالي
فاتركي مطّ حاجبيك وعيشي معنا بالرجاء والتأمال
زعمت أنني كبرتُ وأني قل مالي وضن عني الموالي
وصحا باطلي وأصبحت شيخاً لا يُؤاتي أمثالها أمثالي
إن تريني تغيّر الرأس مني وعلا الشيب مفرقي وقذالي[1]

---

١ البيان والتبيين (١/٢٣٦) .